مملكة الشياطين

"رواية"

رشا صلاح الدين

obeikandl.com

مملكة الشـياطـين
رشا صلاح الدين/ مصـرية
الطبعة الأولـى عام ٢٠١٦
ISBN: ٩٧٨-٩٧٧-٦٤٤٥-٧٥-٨
رقم الايداع:٢٠١٦/١٥٧٩٢

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.
جمـيع الحقوق محفوظة. لا يـسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه فـي نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطـي مـسبق من الناشـر.

دار الكتب
Daralkotob

المديـر التنفـيذي: آية عفـيفـي
تصحـيح لغوي: محمد لطفي
اخـراج داخلـي: أيمن فخـري
غلاف : NileDesign.com
دار الابداع للنشـر والتوزيع
موقع دار الكتب
أبـراج عثمان- كورنـيش المعادي
القاهـرة - مصـر
هاتف: ٠١٠٠-٢٠٥-٢٢٦٦
E-mail: info@Daralkotob.com
www. Daralkotob.com

daralkotob

obeikandl.com

مملكة الشياطين

obeikandl.com

obeikandl.com

تتلبسنا الأفكار كالشياطين

وتتلبسنا الشياطين كالأفكار...

فلا نعلم أتقودنا الأفكار إلى جحيم الشياطين

أم تقودنا الشياطين إلى جحيم الأفكار..

obeikandl.com

obeikandl.com

إهـــــــــداء...

إلـى كل من أخـذ علـى عاتقه مـسئولـية دحـر مملكة

الشـياطـين...

obeikandl.com

obeikandl.com

تنبيه هام جدًا

هذه الرواية المتواضعة التي بين أيديكم ماهي إلا محض خيال لمؤلفها، وأيّ تطابق أو تشابه بين أحد شخصياتها وبين الواقع يندرج تحت بند الصدفة البحتة ، فكل من حركوا أحداثها من أناسي أو شياطين، عاشوا فقط في خيال كاتبها، أو ربما في أمنياته.

obeikandl.com

obeikandl.com

(١)

مازالت الشمس تحاول الدخول إلى غرفته على استحياء من بين ثنايا الستائر التي جذبها الهواء للخارج من خلال النافذة المفتوحة منذ أمس، ولفحات الهواء البارد تتسلل لتوقظ (موكا) قطته الهادئة، التي تشاركه مسكنه وتكسر حدة وحدته، وكعادتها بعد استيقاظها تقفز فوق وجهه مطالبة بإفطارها، ولا تكف عن مُوائها حتى يستجيب لها - رُغمًا عنه - رغبةً في صرفها عن فراشه ليستكمل نومه لبضع ساعات أخرى...

فليس هناك من سبب واضح يدفعه للإستيقاظ الآن.. حيث لا أحد ينتظره، ولا عمل يُفتقد وجوده فيه...

لقد اعتاد (إبراهيم) عُزلته وَاكتفى بالانفاق مما يَدُرّه عليه ميراثه من والديْه، وإن لم يتركا له أموالاً طائلة، لكنها تفي باحتياجاته هو و(موكا)، فَقَدْ فقدَ طموحه للحصول على المزيد، وَزهد في كل ما يُشعر بالحياة.

وبالرغم من كونه متدينًا إلى حد ما، بمعنى أنه مؤمن بوجود الله، ترجع دماثة خلقه لكونه من عائلة لها أصول ريفية نجحت في

تنشئته على أخلاق القرية، وبرغم تمتعه بقدرٍ فائقٍ من الذكاء الذي يكاد يصل للعبقرية إلا أن الحظَّ يعانده دائمًا، وكأنما بينهما ثأرٌ قديم للحد الذي ألجأه لتلقي العلاج النفسي لدى (د. مهاب الألفي).. طبيب في منتصف الأربعينات، جَادٌّ، مهذب، تَتميز مناقشاته بروح الدعابة الساخرة أحيانًا، التي لا تروق كثيرا لإبراهيم ،الذي يعتبرها استهانة واستخفافًا بما يَخْتَلِج داخله من أحزان؛ نظرا لطبيعة إبراهيم الجادة، وعلى الرغم من كون (د. مهاب) شخصًا مرهف الحس بالفعل، يعاني كثيرا من حزن غير مبرر نتج عن تعمقه ومعايشته الشديدة والصادقة جدًا لحالات مرضاه.

****

أما إبراهيم فكل شيء في حياته بعد رحيل والديْه واختياره للعزلة بعيدًا عن البشر- بدا له مُعطلاً كهاتف قديم قُطعت أسلاكُه المتهالكة، وكلما أوشك على إصلاحه انقطع من مكان آخر فيزداد شعوره بالفشل كل مرة؛ فيبني حول نفسه المزيدَ والمزيدَ من الحصون والسياج ليتقوقعَ داخلها ويتوارَى.

ذات مساء.. بينما كان إبراهيمُ في إحدَى زياراته للعيادة النفسية تحدَّث مع (د. مهاب) باستفاضة عن مشاعره المضطربة وما يتراءَى له من شُخوص تبدو له حقيقيةً، تعيش معه وتخرج من بين ثنايا أفكاره لتتجسد أمامه واقعًا حقيقيا، وتتحدث إليه

عن آلامها و أحزانها ومشاكلها، مُوجهةً إليه كلَّ اللوم لما آل إليه حاله وأحوالهم معا، مُحملةً إياه الذنب في هذا المصير البائس، ولكن الغريب في الأمر أنه قد أَلِف وجودهم في حياته حيث لا يؤنس وحدته شيء أكثر من أحاديثهم وخلافاتهم؛ فأصبح يستمتع بوجودهم معه و لا يستطيع أن يثبت كونه واقعًا أم خيالًا، فالأمر يختلط لديه بين النوم واليقظة وتنعدم فيه الخطوط الفاصلة، وهو لا يجهد نفسه بوضعها، بل إنه بات يبث لهم همومه أحيانًا ويتحدث كثيرا معهم عمّا تَعرض له من مواقف مع البشر واستغلال البشر لطيبته ونبل أخلاقه، كما يحاول الدفاع عن نفسه أمام اتهاماتهم المتلاحقة له بالسذاجة، والتفريط في حقوقه مع الآخرين. وبالرغم من ذكائه وفهمه لهم وإدراكه لخبث نواياهم؛ كان لا يبالي ويُيسر لهم ما يريدون الحصول عليه منه..

اعتاد إبراهيم أن يستمع لخلافات شخوص خيالاته وتناقضاتهم وتباينُ آرائهم دون أن يتدخل، واعتاد كذلك على هذا اللوم المستمر منهم، كما اعتاد أن يُذْعن للرأي المنتصر فيهم. وهم دائمو الاختلاف، حتى ان خلافاتهم قد تصل أحيانًا للتحكم في مذاق طعامه وذوقه في اختيار ملابسه التي يبدلها -أحيانًا- في اللحظة الأخيرة نزولاً على رغبتهم في ذلك... حقيقةً.. ليس أمر هذه الصحبة الغير اعتيادية وما خلفته في داخله من سمات السلبية والتردد في اتخاذ أي قرار في حياته -

هو فقط ما دفعه للتردد على عيادة (د. مهاب)؛ وإنما ذلك الكابوس الذي يلاحقه من فترة لأخرى ويجثمُ على صدره فيفقده القدرة على التحكم في أي شيء، فيجد صعوبةً بالغةً في التنفس مصحوبةً بسرعة في ضربات القلب، ويشعر حينها كأنّ روحه حبيسة شيء ما، يختنق صوته داخله؛ فيصرخ دونما صوت؛ يحاول جاهدًا أن يهرب منه بالاستيقاظ فلا تفلح محاولاته، وعندما يحالفه الحظ ويفلح في الاستيقاظ يجد نفسه مُنهكًا تمامًا؛ وقد تشنجت كل أطرافه؛ تؤلمه أسنانه نتيجة الجزّ عليها أثناء ذلك الكابوس المفزع؛ يتنفس بصعوبة بالغة كأنه كان يجري لعدة أميال دون توقف، أو كأنه قد أنهى للتوِّ معركةً ضاريةً تركته منهكًا تمامًا، ليقضي بعدها جزءًا من يومه يشعر بالإرهاق كأنما دقَّ أحدهم عظامه بمطرقة... ليس ذلك فحسب بل إنه أحيانًا يجد على جسده آثارًا لما تعرض له من إيذاء أثناء نومه.. حقًا لقد أصبح كثيرا ما يخشى النوم خوفًا ممن يقيدون روحه في هذا الكابوس ويُشلّون حرية حركتها...

لم يُبدِ (د. مهاب) أيَّ اندهاش لما رواه إبراهيم، حتى عندما رأى تلك الندوب والخدوش التي يعتقد إبراهيم أن أشباح كوابيسه هم من سببوها له، بل كان يستمع إليه في هدوء، ويدِّون فقط بعض الملاحظات في أجندته حيث إنها أصبحت حالةً متكررةً بشكل مثير للدهشة، يتكرر مرورها عليه كثيرا هذه الأيام، ربما

لكثرة الهموم التي كبّلت قلوب البشر فيخرجها اللاوعي أثناء نومهم على هيئة كوابيس لتُنفس عن غضبهم الدفين، حتى حالات الاكتئاب الحادة و نوبات الوهم والسكيتزوفرينيا (Schizophrenia) بدت بالنسبة له متكررة ومعتادة تمامًا كالانفلوانزا، لذا فقد كتب الروشتة له في هدوء.

لم يرق لإبراهيم هدوء (د. مهاب) دونما أدنى تعليق يرضيه؛ فنظر إليه إبراهيم متسائلاً :
هل أنا على حافة الجنون يا (د. مهاب) أم جُننت بالفعل؟أم هي أعراض سكيتزوفرينيا؟

فردَّ عليه د. مهاب ممازحًا :
• لا أنت اتلبست عادي هنعملك زار، ونصرف العفريت ده ماتخافش..!

• بتكلم جد يا دكتور، أنا حاسس إن عندي سكيتزوفرينيا، مش كده؟؟

• جرى إيه يا إبراهيم هو أنت هتعيا وتشخص لنفسك المرض كمان، شوية اكتئاب ياعم وهيروحوا لحالهم ماتبالغش وتمرض نفسك بالعافية.

مطَّ إبراهيم شفتيه وجزَّ على أسنانه وهو ينظر لـ د. مهاب متسائلاً :

• لا بتكلم جد يا دكتور، إيه اللـي أنا فـيه دة بالضبط؟

فأجاب (د. مهاب) بابتـسامة :

• يعنـي أنت شايفنـي أنا اللـي بهزر، ما أنا بـرضه بـتكلم جـد... دول شوية اكتئاب نتـيجة الضـغوط اللـي أنـت اتعـرضت لهـا، والوحـدة اللـي بقـيت فـيها ودي حاجة مخالفة لطبـيعتك الاجتماعـية، عشـان كدة جالك اكتئاب.

• طـيب والناس اللـي بـيطلعوا من أفكاري ويجـيوا يقعدوا معايا دول؟

• أنت بنفـسك قلت إنك مش متأكد إنهم حلم ولا حقـيقة.. و زي مـا قلت لك أنت اجتماعـي ومن جواك أنت رافض الوحدة اللـي فـرضتها علـى نفـسك، وأنت نفـسك بتهـرب منها لخـيالك.

• خـيالـي؟! دول بـيعدوا معايا زي ما أنا قاعد مع حضـرتك دلوقتـي بالضبط يا دكتور.

• وماجوش معاك هنا لـيه عشان نتعـرف؟

• هم مايعـرفوش إنـي جاي أنا ماقلتلهمش.

• لـيه؟

• علشان مايمنعونـيش؟

obeikandi.com

• هم مايقدروش يمنعوك يا إبـراهـيم.. أنت اللـي بتقــرر أنـت عـايز تعمل إيه وبتـستعملهم شماعة عشان تحـسس نفـسك بالقهـر، وإنك مُجبـر علـى اختـياراتك، صدقنـي يا إبـراهـيم أنـت أقـوى مـن اللــي بتوهم بـيه نفـسك.

• طـيب وخناقاتهم؟

• ده الصـراع اللـي جواك أنت.

• طـيب والكوابـيـس اللـي بشوفها؟ دا أنا بقـيت بخاف أنام.

• الكوابـيـس دي بتخـرج الصـراع اللـي جوه عقلك الباطن وتتــرجمه لصورة صـراع حقـيقـي عشان توصل لك الفكـرة اللــي عايشـه جـواك بـرضه.

• يعنـي حضـرتك عايز تقول إن كل ده مجـرد تهـيؤات؟

• شوية هلاوس سمعـية وبصـرية أنت تقدر تـسيطـر علـيها لـو أنـت عايز ده، وصدقنـي لـو أنـت مـش عـايز ده مـاكنتش جـيت لـي. هـا.. تحب تبتدي بأه فـي العلاج الصح وتقاوم كل الوهم ده؟ ولا تـستــسلم وتخلـي الأوهام هـي اللـي تهزمك وتزود الاكتئاب اللـي عندك؟

• ابتـسم إبـراهـيم وقال بابتـسامة ساخـرة :
لا، أنا بفكـر أروح أعمل زار.

obeikandi.com

• لو كان ده تفكيرك ماكنتش جيت لي، صدقني يا إبراهيم أنت أقوى مما تتخيل..

كتب له د. مهاب روشتة العلاج وأعطاها له وابتسم له قائلا : هشوفك بعد أسبوعين تكون طردت العصابة اللي معششة في خيالك دي ونتكلم بعدها، بس الأدوية دي لازم تتاخد في مواعيدها من غير تهاون، وكل ماتحس إن حد من اللي في خيالك بيحاول يقتحم حياتك اشغل نفسك بأي حاجة تانية.. أخرج اتمشى ، اعمل رياضة، قوم اتنطط حتى شوية، أدخل على أي موقع تواصل اجتماعي على الانترنت وتواصل مع الناس، كوِّن أصدقاء حتى لو افتراضيين في عالم افتراضي.. تفاعل يا إبراهيم... تفاعل مع اللي حواليك حتى لو من بعيد.. اتفقنا؟

• اتفقنا ، هحاول

• لأ، هتقدر.

وبدلاً من أن تبث كلمات د. مهاب التفاؤل في نفس إبراهيم زادت من شعوره بالإحباط بشكل كبير، لشدة إحساسه بصعوبة أن يصدق أي بشر أمر تلك الشخصيات التي تتجسد له كواقع وتعيش معه..

لذا فقد خرج من عيادة د. مهاب حاملاً قدرًا لا بأس به من الإحباط والإنهزامية، قدرًا يكفي العالم لو وُزّع عليه، وتتبلور أمام عينيه فكرة الانتحار كمُنْقذ أخير فيصارعها إيمانه الذي أبى أن يتخلى عنه رغم كل الظروف التي مر بها ليأدَها في مهدها قبل أن تتوحش وتتمكن منه.

obeikandl.com

obeikandl.com

(٢)

ظلَّ إبـراهـيم بـين صـراع الأفكار المُتقدة فـي ذهنه وشعوره بأنـه يطوي فـي قلبه أحزان مدينـة - حتـى فقـد تـركـيزه الواعـي وسـلَّم نفـسه بإرادة كاملة للاوعـي ، لـيجدَ نفـسه بـلا مقـدمات منطقـية فـي قلب صحـراء شاسعة لا يذكـر أي طـريق سـلكه لـيأتـي إلـيها، فآخـر ما يذكـره عقلُه الواعـي خـروجَه من عـيادة د. مهاب فـي أحد الأحـياء الهادئة فـي أطـراف المدينة المتـرامـية الأطـراف، الزاحفة بكل زخمها لتلـتهم الصـحاري المحـيطة بهـا وتضـمها إلـى صـخبها رويـدًا رويدًا، إلا أن الذي أعاد إلـيه الانتبـاه واسـتفز إدراكَـه إضـاءة مؤشـر الوقود الـذي أوشـك علـى النفـاد، وصـوت صافـرة الإنـذار لتجـاوزه الـسـرعة الآمنـة، فـما كـان منـه إلا أن ضـغط علـى مكـابح سـيارته وانتحـى علـى جانب الطـريق لاستجماع أفكاره وتدبـر الأمـر.

وسـرعان ما راقت له فكـرة وجوده وحـيدًا فـي مكـانٍ مقفـر مظلـمٍ بعـيدًا عن الضوضـاء وضجـيج المدينـة، فلعلهـا فـرصة لارتـداء ثـوب جديد من ثـياب الوحدة التـي يعـيشها بالفعـل وهبتهـا لـه الـسماءَ لـيبتعد أكثـر عـن البشـر وفضـولهم وتلصصـهم الـدائم علـيه واستنزافهم المـستميت لمشاعـره وعبـثهم بأفكـاره؛ فلكـم اعتبـرهم

جزءًا لا يستهان به لما آل إليه حاله الآن من التيه والتشتت الذي جعل مستقبله ملبدًا بالغيوم... لذا فقد فكر سريعًا، وقرر إغلاق هاتفه الذي كان نادرًا ما يستمع لرنينه ؛لينعمَ بتلك اللحظات المنفردة، ويوفر لندرتها التبجيل اللائق بها، فأراح مقعدَه إلى الخلف، وأغلق نوافذ سيارته إلا بما يسمح بتجديد هواء التنفس، وأغمض عينيه في هدوء ذي مذاق جديد لم ينعمْ به من قبل رغم وحدته الدائمة؛ فحتى (موكا) لن تفسدها عليه بموائها...

****

بدّدَ هذا الهدوءَ إضاءاتٌ غريبة لاحت فجأة له من بعيد آتيةً من قلب الصحراء لها ممر من نور يمتد كالبساط إلى باب سيارته الأيمن؛ فقفز إلى المقعد الأيمن، ثم فتح باب سيارته وسار مع النور إلى حيث منبعه، سار إبراهيم وكأنه مُنوّم مغناطيسيا وكأن أحدهم يشدُّه شدًا إلى هناك..

****

ها.. لقد وصلتُ، أووووه.. ماهذا؟! هل دخلتُ إلى عالم الأساطير؟ أواقعٌ ما أنا فيه أم خيال؟ أم تراني فقدتُ البقية المتبقية من عقلي لأجن تمامًا؟

هكذا حدَّث إبـراهـيمُ نفـسه وهو مَشدُوهٌ تمامًا بما يـراه، عندما وجـد نفـسه فجـأة علـى مشـارف قصـر أسـطوري مـن قصـور ألـف لـيلة ولـيلة، تعلوه قبـابٌ ذهبـية، وتحـيطه أسـوار رخامـية ذات نقـوش ومُجـسمات نحاسـية غاية فـي الإبداع لم يـر لها مثيلاً مـن قبـل ، ولم يـسمع بمثل روعتها إلا فـيما يـروى عن الأساطـيـر الإغـريقـية...

وما إن وطأت قدماه أمـام تلـك البوابـة النحاسـية المهـيبة ،المحاطـة بتمثالـين عملاقـين كأنما يمـسكان بها ، والتـي يزيد ارتفاعها عن ارتفـاع طابقـين - حتـى فُتحت علـى مصـراعـيها ، وبدا التمثـالان فـي وضـع التـرحـيب بـه، وكأنمـا يدعوانـه للـدخول، لـيجد نفـسه أمـام ممـر رخامـي أسود شديد الإلتماع تتلألأ علـيه ألوان مُصدفة بـراقة مبهـرة، وتـنعكس علـيها الإضـاءات الزرقـاء التـي تُـزين مـدخلَ القصـر ذي الـسلالم الـرخامـية بلون الممـر الأسود، ومحاطة من الجانبـين بأزهـار كـريـستالـية متدرجة الارتفاعات، تنبعث منها إضاءات ملونة لتعكس إضاءاتها الخافتة علـى جانبـي القصـر من الأسفل، وتزداد خفوتًا كلـما نظـر لأعلـى القصـر الذي بدت قبابه كأنما تعانق الـسماء، مما أضفـى علـى القصـر غموضًا ومهابة جعلت قشعـريـرة تـسـري فـي جـسده كلما نظـر إلـيه.

****

دَلَفَ إبراهيم إلى بهو القصر بلا وعي أو تفكير مسبق لما قد يقابله في الداخل، كان يشعر أنه مدفوع للدخول دفعًا، وما إن وجد نفسه في بَهْو القصر ذي الأرضية الكريستالية البراقة المضيئة بألوانٍ خافتة حتى أضيئت كل أنوار الثريات الكريستالية العملاقة المتدلية من القباب المفرغة في أعلى الأسقف لتظهر الجدران القاتمة اللون المنقوشة بفخامة باهرة بالألوان المتداخلة وتعلوها المرايا العملاقة ذات الأطر الذهبية التي تعكس صورته في كل مكان، وغُلِّقَت بوابات القصر توًا، وعُزفت موسيقى (الڤالس) المميزة وكأن الأوركسترا كانت في انتظار دخوله ليبدأ الاحتفال ترحيبًا به وبِمَقْدمه، التفت إبراهيم لصوت وقع أقدامٍ أنثوية تهبط على درجات القصر، فإذا بأميرة أسطورية بارعة الجمال ترتدي ثوبًا من أثواب أميرات ألف ليلة كأنما نسج من الماس من شدة تلألؤه ،وتزدان بإكليل من الزهور البيضاء والماس واللؤلؤ يعلو جبينها، وتتدلى منه اللآلىء منثورة بين خصلات شعرها المنسدل على كتفيها والمتناثر في دلال حتى أسفل ظهرها ليزيدها جمالاً ورقةً وأنوثةً، وإذا بتلك الأميرة تشير بيدها إلى إبراهيمَ ترحيبا به... ولم يفقْ من ذهوله إلا بذهولِ أشد عندما بادرته بقولها :

(لقد تأخرتَ كثيرا يا إبراهيمُ وأرهقتني جدًا حتى لبيتَ دعوتي يا عزيزي)

ثم ابتسمتْ له ابتسامةً رقيقةً ناعمةً تفيض أنوثةً ودلالاً، ونظرتْ له بطرف عينيها وهي تخفض رأسَها في حياء أنثوي آسر جعله يتلعثم، ولا يجيد ترتيب كلماته، تلحُ عليه الكثير من الأسئلة التي لم يحجبها عن القفز من بين شفتيه إلا احترام هذا الجمال الطاغي الذي وجد نفسه فجأة في حضرته...

"... فالصمتُ في حرم الجمال جمال "

obeikandl.com

obeikandl.com

(٣)

أحستْ (ڤولار) بارتباكه فاقتربت منه تسبقها رائحةُ عطرها النّفّاذة التي تمتزج فيها روائح الفاكهة بالڤانيليا وأخشاب الصنْدل بالعودِ الهنديِّ...

ذلك العطر الذي شعر معه إبراهيم أنه انتقل إلى عالمٍ آخر من السحر لم يألفْه من قبل ("فالأنفُ" تعشقُ قبلَ العينِ أحيانًا). وضعتْ (ڤولار) يُمنَاه بين يديها، وأومَأتْ برأسها وأغمضت عينيها مرحبةً به فأغرقته في ارتباكٍ لذيذ.

اسّترسَلتْ في حديثها بصوتها العذبِ الذي يشبه دقات (البيانو) مع موسيقى (الڤالس)التي تُعزف منذ لحظة دخوله لبهْو القصر وكأنها موسيقى تصويرية للحدث المَهيب...

• لم تجبّني يا حبيبي... لماذا تأخرتَ؟

انتظرتُك منذ زمن... أحترق شوقًا للقائي بك وحديثي معك.. أهكذا تردُّون حديثَ المُحب في بلادِكم؟؟... قُساةٌ أنتم حقًا !

.. قالت عباراتها تلك وهي تكاد تلتصق به من فرط قربها منه مما زاد ارتباكه، فأجاب بصوتٍ خَفيض تملؤه الحيرة :

• تأخرتُ؟

حديث المُحب؟ بلادنا؟ أكاد لا أفهم شيئًا... وأكاد أجزم أنكِ فيما يبدو تظنينني شخصًا آخر..

قاطعته بسرعة :

• بل أنت وليس سواكَ، فالقلب لا يُخطيء حبيبه...

(إبراهيم دياب الطيب) مهندس الإليكترونيات والمتخصص في البرمجيات ونظم المعلومات، ذلك النابغة الذي عرقلَه نبوغه عن الاحتفاظ بأي وظيفة نظرا لذكائه الذي يُشكل خطرا على جميع من يرأسه، ويعيق ظهور منافسيه...

لذا كان لابد من إقصائك، بل وهدمك وسجْنك داخل نفسك ليكْمل الجميعُ مسيرتَهم، أَليس هذا ما حدث؟.. ما أغرب عالمك يا إبراهيم.. وما أغربك داخله!

• أتعرفين عني كل هذا؟

• وأكثر إن أردتَ سماعَ المزيد...

obeikandl.com

• لا، أرجوكِ.. كَفى.. أفضل الاحتفاظ بمسافة داخلي أشعر بحريتي من خلالها، لا أحبُّ فكرة أن أكون عاريًا ومُخترقًا من الغرباء كمن يسكن بيتًا من زجاج..

ضحكت ڤولار ضحكة مجلجلة زادته ارتباكًا ،وقالت في استنكار :
• غرباء !! لك هذا.. ثم استدركت متمتمة "حتى الآن ".

لقد أدركتْ بذكائها الأنثوي وبطبيعتها النارية وبقدرتها على قراءته من الداخل أنها قد اكتسبت أرضًا في معركة عليها ألا تخسرها وأن تتقدم نحو قلبه بحذرٍ وجرأة في آنٍ واحد... يا إلهي ! إنها تلك المعادلة الصعبة التي تَبرع فيها تمامًا وتستمتع بأدائها..

ستنهار جميع قلاعه عما قريب، هي ليستْ على عجلٍ من أمرها؛ فهي تعرف متى ترمي لتصيبَ..

باغتته في دلالٍ :
• ما رأيك لو تراقصني؟ أظنها المرة الأولى التي تدعوك فيها فتاةٌ جميلة مثلي لمراقصتها.. أليس كذلك يا سيدي؟

• بل إنها المرة الأولى على الاطلاق يا سيدتي الفاتنة، فأنا لم أراقص إحداهنّ في حياتي من قبل.

علت ضحكاتها المبالغ في دلالها، وهي تداعبه : حقًا؟!.. يا لي من محظوظة إذن..

فأجابها بسرعة وهو يمسك بيديها لبدء الرقصة قبل أن تغير رأيها :

• ولكنني شاهدتُ الرقص في الأفلام من قبل.. وكم راقصت نفسي في المرآة... قالها وقلبه يرقص من فرط السعادة الغير مبررة ونظر إلى عينيها الساحرتين متسائلاً : من أي عوالم السحر أتيتي إلي؟

فأجابته مداعبة :

• ربما استيقظتَ اليوم وتركتَ بابَ أحلامك مفتوحًا فأتيتُك منه.

رقَصا وكأنما قد وُلدا يرقصان.. أخذتهما الموسيقى ليحلقا معًا فوق الغمام ويسافرا إلى كل الدنيا، وما إن انتهت الرقصة الرومانسية حتى لاحظتْ ڤولار ارتباك إبراهيم وذهوله؛ فبادرته بالحديث لتأخذه من ارتباكه :

• أليس الجو باردًا هنا؟ ألا ترغب في تناول مشروب دافيء؟ ما رأيكَ؟ هيا لنحتسي القهوة بالداخل، ونتجاذب أطراف الحديث فلدينا الكثير لنتحدث فيه معًا يا عزيزي، أخبرني أولاً.. كيف حال قطتك الجميلة موكا؟ قد تكون قلقةً عليكَ الآن لتأخرك في العودة إليها.. لا بأس فلديها من الطعام والشراب ما يكفيها لا

تقلقْ بشأنها.. آه كم هـي محظوظة تلك القطة ! تنعم بالحـياة معـك وتحظـى بـرؤيتك دومًا...

تـسمـر إبـراهـيم فـي مكانه مـذهولاً لمعـرفتها بأمـر قطتـه واسـمها ايضًا ، يـسائل نفـسه من تكـون تلـك الحوريـة الفاتنـة التـي تـسكن الضـياء فـي قلـب الصحـراء ! وهـي تجذبـه مـن ذراعـه نحـو قاعـة مجاورة للبهو ذات باب خشبـي مهـيب عتـيق تزينـه نقـوشٌ بـارزة لأزهار وفـروع أشجار متداخلـة.. قاعـة متـرامـية الأطـراف أضـاءت الشـموعُ أركانهـا فـور دخـولهما إلـيها لتظهـر جـدرانها ذات اللـون النبـيتـي القاتم وقد نُقشـت بإبـداع فـريد، وتتخلـل نقوشـها المـرايا المُذهبة واللوحات الزيتـية البالغـة الـروعة التـي تضـيؤها الشـموع المعلقة علـى الجدران فـي شمعدانات نحاسـية عتـيقة، وقـد وُزعـت بعناية فائقة لتَنم عن ذوقٍ مبالغٍ فـي رُقـيه.

كان ينظـر بانبهار شديد لكل ماحوله ويلح علـى عقلـه سـؤالٌ غـريب.. تـرى إلـى أي العصـور رجـع؟ وفـي أي المُـدن هـو الآن؟ ماهـذا المـزيج الغـريب بـين فخامة العصور الوسطـى وسحـر عصور الألف لـيلة؟

تـرى.. أمـازال يهـذي وتـستبد بـه تلـك الهـلاوس التـي حـذره منهـا الطبـيب؟، ظلت التـساؤلات داخله بلا إجابـةٍ شافـية ولكنـه منهمـكٌ فـي ذهوله بما يـرى.

obeikandl.com

((٤))

على مقعدين وَثيرين مصنوعين من الخشب المُذهب ذي النقوش البارزة، والأحافير الغائرة، المرصَّع باليواقيت الحمراء القانية والزَّبرجَد الأخضر الرائق ومُوسّدان بوسائد يكسوها المخْمل الأسود الحالك المُطرز بالخيوط الذهبية الفاخرة بجوار مدفأة تبدو كأنها صُنعت من الذهب الخالص وَرُصعتْ بجواهر ولآلىء فريدة في شكلها وألوانها يتصاعد منها رحيق البخور مصحوبًا بدفء نيرانها...

هناك.. جلس إبراهيم وڤولار يحتسيان القهوةَ الممزوجة بأفخر أنواع الحبّهان وجوز الطيب والزنجبيل والتوابل الهندية، ويأكلان الكعك المغطى بالشوكولا الساخنة والكراميل وحبات الفستق واللوز المحمص..

وسط هذا السحر الشرقي الفريد الذي تميزت به هذه القاعة، وتلك الموسيقى الهادئة ذات الطابع الآسيوي ،والإضاءات الخافتة الحالمة ،شعر إبراهيم باسترخاء لذيذ يُدغدِغ أحاسيسه المضطربة ويُخدِّر أعصابه التي أتلفها التوتر الدائم طوال السنوات الثلاث الأخيرة من حياته.

وهكذا استسلم لأحاديث ڤولار بعذوبتها، وشعر معها أنها تغوص داخل نفسه بمجرد أن ينظر إلى تلك العينين الكحيلتين، يشعر وهو يحادثها أنها تنفذ إلى حيث زوايا روحه المعتمة التي كانت مناطق مُحرمًا على من سواها ارتيادها.

لم تسترسلْ ڤولار في الحديث كثيرا بقدر ما أفسحتْ له المجالَ ليتحدث، وتركت له العنان ليبوح بما يشاء ويزيحَ عن صدره أثقالاً أرهقه طول حملها، كانتْ تجيد الإنصات إليه وإظهارَ الاحترام لما يقوله ويبوح به كما لم يفعل سواها من قبل، تُغير دفّة الحديث بذكاء لإتجاه آخر كلما شعرت باضطرابه أثناء الحديث ليعود له هدُوؤه من جديد، فقد كانت تريده رائق الذهن، خاليا مما علُق بقلبه من رواسب مزعجة لتمهد التربة جيدًا لبذورها التي ستغرسها فيه بروية وأناة..

تحدَّث إبراهيم...
تحدَّث حتى كاد أن يشعر أن كل ما يُطبق على صدره يخرج مع أحاديثه ويتبدد مع رائحة البُخور..

تحدَّث عن خيباته فيمن حوله، وخُذلانه فيمن أحبهم، تحدَّث عن نجاحاته التي تبددت كلها بلا مُبرر مُقنع على صخرة واقع لا يرحم ،وكأن نبوغه وتفرده وعبقريته التي وهبها الله له كانت نقمة عليه أكثر من كونها نعمة.

تحدَّث عن كل ما يعِّن لنفسه الحديث عنه حتى عن كراهته للحديث وإدراكه لمدى عبثية الكلام وانعدام جدواه، فما من أحدٍ يستطيع فهمه في هذه الحياة... تحدَّث بقدر ما التزم الصمت لسنوات....

استطاعت ڤولار أن تسحبه بهدوء إلى عالمها، وهي ترتدي ثياب الملائكة في تلك الليلة وما تلاها لتتقن اللعبة وتطيح بقلبه المُتعَب في هواها.. وأيّ هوىً هو؟!.. إنه هوىً لا يُبقي ولا يَذر.

وكيف لا؟؟ فلديها ما لن تُبارِيها فيه بناتُ الإنس ولو مشينَ على الماء. ليس حسنًا وفتنةً فحسب، بل قدرتها أن تجري منه مجرى الدم. لقد راهنت عليه، وأعدَّت عُدتها وجهزَّت خُدامها وسخرتهم جميعًا لتحقيق ما أرادت ولن تقبل أن يوقفها شيء، أو أن يهزمها ذلك الإنسي البائس، لقد ابتلع بنجاح الطُعْمَ الأول، وسيبتلع ما تلاه كما أرادتْ...

ومن ذا الذي سيصمد أمامَ كلِّ تلك الفتنة الممزوجة بالحكمة والدهاء؟ من ذا الذي سيصمد أمام من درسه من الداخل، وأمسك بِتلابيب نقاط ضعفه وأحكم القبضة جيدًا؟ وأيّ مهربٍ سيلوذ به من حب سيجتاحه كما الإعصار؟...

****

لا بأس من قصة حب مع إنسي قصير الأجلِ في إحدى مراحل حياة الجنيات الممتدة طالما سيحقق الهدف، وسيعيد لمملكة الجانّ ما سلبه منهم أسلافُه من بني البشر...

سينفطر قلبه؟ سيجُن، بل ربما سيموت كمدًا إن لم يحتمل؟ لا بأس.. فكلهم موتى ونحن الخالدون المنْظرون.. فليدفع جزءًا يسيرا من ديْن أجداده أبناء آدم أجمعين، ذلك العدو الأحمق الأبدي الذي جعل شقائي و شقاء قومي أيضًا أبديًا.

... هكذا فكرتْ ڤولار مليا واتّخذت قرارها وحسمت أمرها أن تنال منه ما أرادت، إنه الآن أسير الفتنة التي سيرتشفها قطرةً قطرةً حتى تمتلك كل خلية فيه وتضعه بين براثنها.

((٥))

كان لهذا السحر الشرقي الغامضِ الذي يغمر المكان وهذه الفتنة والأنوثة الطاغية التي تمثلت في ڤولار، وهذا الشقاء الذي حمله إبراهيم بين جوانحه لسنوات -أثره في سرعة انهيارِ حصونه، والتي لم تكن مَنيعةً أبدًا، ليجد نفسه غارقًا في العشق حتى أذنيه لتلك الجنية الشيطانة التي لم تُفصح له حتى الآن عن حقيقتها المُفزعة، ومازالت تَتَحينُ الوقتَ الذي تشير إليه بتلك الحقيقة بعد أن تتمكنَ من قلبه... مازالت تراود أحلامَه وتتمنّع عليه بحياء أنثويٍ ودلالٍ مفتعل يُلهب نيران عشقه أكثر...

ماكرةٌ هي.. تعي جيدًا متى تكون تلك اللحظة التي سيرفع فيها رايات استسلامه بلا أدنى مقاومة، بارعةٌ هي في كي قلبه بلهيب فتنتها بهدوء، وتؤدة حتى إذا اكتمل نضجه هدَّأتِ النيرانَ ،ولكنْ لم تطفئْها ليبلغ في هواها حدّ الاهتراء؛ فتكتمل لها السطوة عليه كما أرادت لتصنع منه سلاحًا يفْتك ببني جنسه من البشر وهو مُغمَض العينين مسلوبٌ الإرادة..

راهنتْ على إحباطاته وإخفاقاته التي كبّلت حياته بالهموم والشقاء والوحدة، راهنت على سلبه قلبه ولبَه والتحكم في أهوائه وميوله ونزعاته التي تراها داخله بوضوح وتلمس مواضع التحكم فيها.

راهنت على سطوتها وقدرتها على قيادة عقله بنفسها، والتحكم بقراراته التي ستنبع منها وحدها ومن وساوسها له، بل ستُشرف أيضًا هي وخُدَّامها على تنفيذ ما أرادت منه.

ترى.. أيّ هذه الرهانات سيحالفها فيها الحظُّ لتفوز بها، وأيّها سيخالفها فيها التوفيق؟

واثقةٌ هي من قدراتها اللا محدودة لفرض الهيمنة الكاملة عليه... لا عجب فهي التي اختلقت حوله كل ما كبّله من هموم لتنفرد به وتفتك به متى أرادت، لقد كان طبيعيا، أن تسير حياته في سلام قبل أن يقع اختيارها عليه منذ سنوات؛ ففضّت الناسَ من حوله، وجردته من نجاحاته وأفسدت علاقاته بمن حوله، وزرعت اليأس داخله، ودفعته دفعًا ليختار العزلة التي فرضتها هي عليه كاختيار وحيد إجباري، وحاصرته في صحْوه ومنامه حتى يتسنى لها شدَّه رويدًا رويدًا إلى عالمها الغامض لتفعل به ما يحلو لها بعد ذلك وقد زرعت داخله العداء لمجتمعه، والنفورَ من سائر البشر.

وضعت خطتها بذكاء وحنكة لتحكم قبضتها عليه، وكيف لا وهي حفيدة إبليس، ذاك الذي تحدَّى ربّ العالمين وكفر وفسقَ وفجر

وأقسم على نفسه متوعدًا بني آدم أجمعين بقوله : ((لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صراطَكَ الْمستَقيمَ))

وكما تعي ڤولار قدراتها اللا محدودة فهي تعي كذلك قدرات عدوها البائس ونقاط ضعفه التي تتسلل إليه من خلالها، كما تدرك جيدًا ثبات عقيدته.. تلك المنطقة الشائكة التي تبذل قُصارىٰ جهدها لتلتف حولها؛ فعقيدته ليست من ضمْن مآرِبها في هذه اللعبة، هذه المرة الأهداف مختلفة فهي تحارب الآن من أجل وطنها، من أجل سطوة نفوذ مملكتها الخالدة.

إنها حربٌ مقدسة أيضًا لا تقل قداسةً عن حرب العقيدة الدائرة منذ آلاف السنين، ولكنْ لا بأس من إيقاعه في بعض المعاصي كمكاسب جانبية إضافية فهي تمتلك السلاح ذاته، فلمَ لا تستخدمه في حربها المقدسة؟

خاصة وإن كل معصية سيقترفها ستزيد من سطوتها عليه وتوهن مقاومته لها، إذن... لا بأس من ذلك أبدًا..

obeikandl.com

((٦))

في قصر الملك (أبنان) ملك الملوك ،والقائد الأعلى لجَحافل جيوش الجانّ حيث مقر قيادة مجلس الحكماء، وأبَاطرة الدهاء، ذلك القصر المُشيد على الماء، منذ عهد الملك النبي سليمان، وفي قاعة الاجتماعات الكبرى السوداء انعقد اجتماعٌ استثنائي لمناقشة خُطة ڤولار التي خرجتْ عما هو معهود، وحطمت كل القيود، ونقضت بها المواثيق والعهود، التي وضعها حكماء وملوك الجانّ، منذ سَالفِ الأزمان.

أرادتْ ڤولار أن تحصل على مقعدٍ في مجلس الحكماء لتكون إحدى خُدام مملكتها وصناع القرار، فهذا هو سبيلها الوحيد لتتوّجَ كإحدى ملكات الجانّ، وكان عليها أن تُقدِّم عملاً خارِقًا يتيح لها ذلك المقعد، فتقدمت بخطتها لإنقاذ مملكتها المترامية الأركان، ذات البهاء والزهاء والعنفوان ، من جوْر بني الإنسان وعبثهم بذخائر ممالك الجان ، وولعهم بتسخير الخدام منهم ليأتوا لهم بالمال واللآلىء والمرجان ، فيزداد غزو العمران واقتحامهم المستمر لأراضي مملكة الجان، وتشويه جمالها وهدوئها بضجيجهم وزَخَمِ حياتهم وفوضويتهم اللامتناهية...

إن بني البشر مخلوقاتٌ مزعجةٌ، لم تجلب لعالم الجانِّ سوىٰ الشقاء والأحزان، منذ خُلق أبوهم آدم ليطردوا بسببه من أعالي الجِنان، ويُلعنوا في كل الأديان حتى تنتهي الأزمان، فإذا كان نعيمُهم سيفنى، وينتهي بانتهاء الأزمان، فلِمَ يُعكر صفو حياتهم وهنائهم بنو الإنسان!

****

وقف الحكماء وقادة الجيوش وكبار العلماء وحراس العهود صفين بترتيب مراكزهم من الأعلى للأدنى على جانبي المائدة المستطيلة الممتدة لعدة أمتار، يرتدون العباءات السوداء المهيبة ذات النقوش والكتابات المتداخلة المطرزة بخيوط الذهب والفضة ،تتدلى على صدورهم القلائد ذات التعاويذ والأحجار المنحوتة على هيئة الجماجم البشرية المتباينة الأحجام، وتعلو رؤوسهم التيجان التي تعبر عن مكانة كلِ منهم في مجلس الحكماء ودولة الشيطان...

إنهم جميعًا واقفون الآن في انتظار دخول قائدهم الأعظم ليبدأ الاجتماع، ولن يجلسوا حتى يشير إليهم بصوْلَجانه الذهبي المنحوت على هيئة أفعى الكُوبرا، عيناها من الجوهر الأحمر، تعلو رأسها ماسَة زرقاء تضيء إذا أشار بها وأراد أن يُنذر، ليعلم الجميع حينها أن هناك أمرا أدهى وأخطر..

****

ها قد اقترب الملك من القاعة وغضبه أمامه، وخيم الصمت على الجميع وبدأ إنصاتهم لوقْع أقدامه، يبدو أن الأمر جلَلٌ؛ فضوء الماسةِ الزرقاء يسبقه إلى القاعة، ترى.. ماذا ينتظرنا من الأنباء والأخطار في تلك الساعة !..

هذا ما دار في وجدانهم وهم يترقبون دخوله في حذر، لتدق النواقيس لحظة دخوله مُنذرةً بالخطر.. لكنهم حكماء.. امتازوا بالمكر والدهاء، لا تعبثُ بمشاعرهم أعتى الأنْواء.. ولا تؤثر على صفو أذهانهم تلك الأجواء..

فهم يمتازون بالثبات والصمت الحكيم وخبرة صقّلَها مرور السنين، مارسوا فيها بإتقان عجيب حبْكَ المكائد وإشعال الحروب وسفك الدماء وتشريد الشعوب... فلكم ثملوا من احتساء نخب المراق من الدماء التي أذكوا بها نيران الحروب!

إنهم حراس الشر وخُدَّامه، مواثيقهم عُقدت منذ آلاف السنين، راسخة مواثيقهم كرسوخ الأرض في مدارِها، أهدافهم مُحددة، وأبوابهم مُوصدة..

لا يُعيق وصولهم لأهدافهم عائقٌ، ولا يثنيهم عنها أيّ مارقٍ، ولا يهز عروشهم ويزلزلها إلا ثبات قلوب المؤمنين، ذلك هو عدوهم المبين.

فأيَّ قوةٍ تلك التي وضعها الله في قلوب المؤمنين تهتز لها عروش الشياطين، و ليس لهم عليهم سلطان مبين؟!

إذن.. فليس لنا من حيلة أو وسيلة إلا دخولنا إليهم من أبواب خَفية، لايدركون معها أنهم ينَفِّذون عهودنا الأبدية، هكذا كُتبت الوثيقة الشيطانية وخُتمت بأختامٍ أبدية، وسرت قوانينهم بين البرية.

****

دخل قائدهم الأعلى تعلو وجهه علاماتُ الغضب، الذي أشعله توقيت حيلة ڤولار التي رآها ساذجةً وتفتقر للحكمة، بل و تنذر أيضًا بالخطر.. طيشٌ لايليق بأميرةٍ في مملكته، ولا يليق بوالدها (الملك قطربان) - قائد أبالسة المشارق - ذي الخبرة الفائقة والبراعة في إشعال الحروب والمعارك، كيف سوَّلَتْ لها نفسها أن تعبث مع إنسي بائس هالك، وتنتظر منه أن يُنقذَ لها مملكة الممالك، الراسخة الأركان عبر الأزمان والتي لم يدنس قدسيتها قط أيّ إنسان؟؟ هل فقدت عقلها وضاع منها الاتزان؟؟

هكذا بدأ الملك أبنان حديثه الغاضب الثائر بصوتٍ كالرعدِ هَادرٍ، استقبل كبير الحكماء كلامَ الملك أبنان بإبتسامة ملؤها الدهاء وتحدث بهدوئه الحكيم، وصوته الرصين قائلاً :

• مولاي.. دعْها تعبث ودعْ عنك الغضب والقلق، ولاتنس أنها في سن الشباب، وهكذا هم دومًا الشباب، يظنون أنهم أتوا بما لم يخطر على الألباب، يأخذهم الحماس وعلو الهمة، حتى يدركوا كيف تُكتسب الحكمةُ... صدِّق يا سيدي العجوز الحكيم ولاتقلق، فكم من عبثٍ للشباب، أدركنا به من المكاسب ما فاق تصور الألباب.. إنما نخشى عليهم من سوء العواقب، ولكنْ تفيدهم الأخطاء والتجارب.

• ازداد غضب الملك أبنان من هدوء كبير الحكماء فقال باستنكار : ماذا تقول أيها الرأسُ الأعظم؟ أتستهين بخطورة التوقيت؟ ألدينا من الوقتِ ما يسمح بمثل هذا العبث؟

نحن الآن على مشارِف حرب وجُودية نهائية ستشتعل قاب قوسين أو أدنى وجميعنا مسخر لها، وننتظر الإشارة ببدئها، أعددنا لها منذ مئات السنين، إنها حربُ الحسمِ على هذا الكوكب.

أليس ما لدينا أهم بكثير من عبثها بإنسي بائس، أعجبتها وسامته، وراق لها ذكاءه الإنساني المحدود؛ فأرادت أن تحقق من خلال عبثها به ومعه مآربها، وترضي غرورها ورغباتها وحبها للتملك، وهي تحاول إقناع نفسها وإقناعنا أنها تقوم بواجب مقدس! أتصدقُها وتقبل هراءَها أيَّها الرأس الأعظم؟؟

أجاب الرأس الأعظم بهدوئه المعتاد:

• مولاي ملك الملوك أبنان..

إئذنْ لها بفيض كرمك، وسعةِ صدرك، وهَبْ لها من نبع حكمتك ما يتيح لها خوض التجربة، وامنحها وقتًا كافيا بحلمك عليها وفضلك.. لعلها تثبت لنا جميعًا قدراتها؛ فتنال بما تجنيه رضاكم المنْشُود..

مولاي... قطرات الماء تفتت الصخر بهدوء بينما يلتفت الجميع نحو حامل الفأس.. فلنفعل كما عودتنا دومًا بحكمتك فنتمهل ولا نتعجل...

قاطعه الملك أبنان قائلاً :

• نتمهل ولا نتعجل؟؟ كلا، أيها الرأس الأعظم، بل ستكون لديها فرصة واحدة ذات مهلةٍ محددة.. فلا أملك وقتًا لمثل هذا العبث ولولا شفاعتك لها ومكانة والدها عندي ما منحتها إياها، فإن نجحت وإلا سجنتها في ياقوتة مرصُودةٍ تليق بجرمها، وألقيتُ بها في قلب صندوق العتمَة فيأخذها عشرون من المردة من ذوي القلوب الصَلْدة فيهبطون بها إلى كهف الأشقياء في أعماق محيط الظلام، لاتخرجُ منه ولا ترى ضوء النهار إلا إذا سالت الدماء البشرية فملأت أنحاء البرية، وتحولت البحار إلى دماء بلون تلك الياقوتة، حينها فقط يُفك أسرها ويستطير شرها لتعود شيطانة محظية، أعمالها عندي مرضية، وهذا هو العهد المشروط، سيختم الآن ويُبرم داخل حلقة خاتم تعلوه تلك الياقوتة المرصودة؛ فإما أن تنجح ڤولار في مدتها المحدودة، وإلا سيأتي بها الحراس مُكبّلة في القيود لتسكن تلك الياقوتة، ثم أردف قائلاً :

لقد تشاورت مع والدها الملك قطربان، ولاقى القرار منه كل استحسان، فلن يسمح لابنته بدلالها وطيشها أن تقلل من هيبته بين ملوك الجانّ.

وَجَمَ الجميعُ أمام ثورة ملك الملوك أبنان، وقراره الذي لا مفر من تنفيذه وإعلانه في جميع أرجاء ممالك الجانّ، فختَمُوا بأختامهم العهد في بضْع ثوانٍ، وعندما تمَّ له ما أراد خَفَتتْ أنوارُ الماسة الزرقاء حتى أطفئت في أمانٍ، وساد الهدوء أرجاء المكان، انصرف الجميع يَحْملون لؤلؤلار الحذر ولا يملكون لها إلا السلْوَان، فقد باتت واسمها مرصود لتلك الياقوتة، وفرصة نجاتها منها موْقوتة.

فاتفق فريق منهم على معاونتها لتنجوَ من ذاك المصير، بينما رأى فريق آخر أنها عابثة مغرورة تستحق التعزير.

obeikandl.com

(٧)

تمر الليالي على إبراهيمَ في قصر الأوهام الذي شيدته له ڤولار، وهو مأخوذٌ بذلك السحر الذي أحاط به من كل جانب، يشعر أنه قد ابتعد كثيرا عن ذاته وكأنه يُبحر في أعماق بحر ما له شطآن، لايدري كيف وصل إليه ولا يبحث كيف يخرج منه، بل هو حقيقة لا يتمنى أبدًا أن يخرج منه، فتلك الفاتنةُ ڤولار تحيطه بألوان من سحر الغرامِ ليلَ نهارَ، يحيا معها مشاعر وردية لم يتخيلْ أن يحياها يومًا.

وڤولار ذاتُ أنوثة لا ترحمُ، تستخدم أقدمَ وأفتكَ أسلحة الأنثى، ذلك السلاحُ الذي لا يَبلى على مر الدهور رغم سذاجته، أخرجته من متاهة همومه ومتاعبه كما لو أنه قد وُلد من جديد ؛ لتُدخله في متاهة همومٍ جديدة من نوعٍ آخر، لم يعتدْ يومًا أن يطرقَ أبوابَه أو يطأ أعتابَه، فهو على الرغم من جرأته ووسامته وذكائه وخفّة ظله مع رزانته التي كانت تجذب الكثيرات إليه، لم يعتد حياة المُجون من قبلُ ولم ينغمس في شهواته ويترك رغباتَه لتسيطر عليه وتستبد به كما هو الآن مع ڤولار، ما باله اليوم بهذا الضعْفِ أمام سحرها وعذْب كلامها؟ ما الذي انتابه؟ هل تكالبت عليه همومُه وإخفاقاتُه إلى هذا الحد ففر هاربًا إلى عالم ڤولار؟ أم أصابه مس من الجانّ؟ أم كلاهما..

استيقظ إبراهيمُ ذات صباحٍ على روائح الورد والبُخورِ ليجد نفسه وقد أمضى ليلته غارقًا بين أحضان ڤولار يُطارحُها الغرامَ في ليلةٍ مشتعلةٍ كالحممِ، وبقدر ما أفزعته فكرةُ وقوعه في المحذورِ المحظورِ بقدرِ ما أسرته فتنتها، ولم يستَطعْ مقاومة سطوتها، وطغيان أنوثتها التي انهارت مقاومته أمامها؛ فأشعلته حتى فقد زمام الأمور، وذاب بين يديها كثلجٍ صهرته النيرانُ..

فعندما أتته ليلاً عند المدفأة بثوبٍ حريريٍ فاتنٍ يُبرز من مفاتنها أكثر مما يخفي، يشتعل بلونه الأسود الفاحم المُشرب بحُمرة فبدا وكأنه جمر يشتعل على جسدها المرمريِ ليصل لظى لهيبه إلى قلب إبراهيمَ فيحرك فيه كل ما كان ساكنًا، ويلقيه بين أحضانها بلا مقاومةٍ ..

لم يكنْ ذلك فحسبٌ هو ما جعل إبراهيم طيعًا بين يديها بالطبع ، ولكنْ قوتها الخفية تلك التي اخترقَته بها لتصل منه إلى كوامن الروح، ونالت منه بدهائها؛ ليجد روحه وقد تعرت تمامًا أمامها لتنظر إلى ما بداخله كمن يرتدي عدسة مكَبرة ليرى بها دقائق الأمور التي لا يلتفت إليها أحدٌ.

مكسبٌ جانبي ليس هو هدفها ولم تسعَ إليه ولكنّه أحدُ سُبلها الناجحة لبلوغ الهدف؛ فالشياطين هم الشياطين حتى وإن ارتدوا أثواب الملائكة، وهكذا بدأتِ اللعبةُ...

(٨)

حقـيقةً.. يبـدو أن المهلـة المحـدودة التـي قـيدها بهـا مجلـس الحكماء هـي ما حفَّز ثولار للإسـراع بمهمتها والإيقاع بإبـراهـيمَ فـي شباك غـرامها والمُضـي قُدمًا فـي تنفـيذ خطتهـا مـن خلالـه؛ فجنـدت كلَ أسلحتها لتحقق مـرادها، وقـد تمـت لهـا خُطوتهـا الأولـى بنجـاح فائقٍ وعلـيها الآن أن تـسابق الوقت وتَثب لتنفـيذ خطوتها الثانـية.

****

فتحتْ ثولار عـينـيها الناعـستـين فـي ذلـك الفـراش الوثيـر الـذي طارَحتـه الغـرامَ فـيه لا يـستـر جـسدها الـوردي إلا شـرشَف مـن الحـريـر النبـيتـي اللامع ، لتجده ناظـرا إلـيها شـاردَ الـذهن مُشـتت الفؤاد، وهـي تدرك جـيدًا الآن مدى حـيـرته البشـرية وتـرى اشـتعالَ الأفكار داخله حول مصيـر علاقـة كهـذه، يتفكـر فـيمن هـي تلـك التـي أدمن رفقتَها، وغـرامَها ولا يعـرف عنها سوى اسمها الغـريب؟ و كـيف يـستطـيع أن يـربط حـياته بها وهـي علـى ما يبـدو ذات جاهٍ ومالٍ وسلطانٍ، وهو مجـردُ إنـسان بـسيطٍ عادي مثلُ باقـي البشـر، بل إنه أيضًا بلا عملٍ ولا مـستقبلٍ واضح المعالم !...

رائعٌ جدًا... لقد كانت بانتظار تلك اللحظة تحديدًا، لحظةُ إتيان الفكرة بعد ذهاب السكرة ، لحظة انقضاضها عليه بحيلتها التالية.

لحظة إيقانه بالوقوع في الحب وإدمانه لها، ورغبته في البقاء معها واستمرار تلك المُتع اللامتناهية، التي وهبتها له بلا قيد أو شرط مع شعوره باستحالة استمرار ذلك وصعوبته، وحان وقت انتشاله من أفكاره وحيرته، ودخوله معها إلى المرحلة التالية؛ فاقتربت منه بكامل جسدها المُتَّقد، وقد أيقنت تمامًا أنها توشك على المضي قُدمًا لخطوتها التالية، وتساءلت في دلال :...

• ما بالُ حبيبي ساهمًا هكذا؟ ألم تسعد بغرامنا في أجمل ليالي عشقنا يا حياتي؟؟ ألم تعجبْك ڤولار؟ ألم تسعدْكَ ڤولار؟ ألم تُشعلْك ڤولار؟

(تساءلت بدلال أنثوي مبالغ فيه وهي مُوقنة تمامًا من الإجابة)

• لا شيء... فقط أفكر في أنني... أحببتك وأظن أنني لستُ أهلاً لك، أظن أن الفارقَ بيننا أكبر من أن أخترقه وأخشى أن أكون قد أضررت بك بعلاقتنا هذه.. أنا لم أكنْ يومًا جسورًا بالشكل الذي يجعلني أسيئ لأي امرأة عرفتها أو أضرها بأي حال، لم أتخطَّ يومًا حدودي.. فماذا انتابني تلك الليلة؟؟ لقد أحببتك أكثر من قدرتي

على الاحتمال.. كيف عجزت عن مقاومة ذلك السحر الكامن فيكِ ولم أتفكر قبل أن أؤذيَكِ؟

فأنا أبدًا لم أكن نذلاً أو ذئبًا بشريًا.. صدقيني.. لن أحتمل أن أتسبب لكِ بأية مشكلة... ثولار.. أنا على أتم الاستعداد لمواجهة الجميع من أجلك، فلن أتركَكِ تواجهين الأمر وحدكِ أبدًا، وأنتِ على ما يبدو لي ذاتُ حسبٍ ونسب... حقيقةً لا أدري كيف حدث كل هذا؟ كيف؟.. وكيف تماديتُ هكذا دونما تفكر؟

تساءل بندمٍ؛ فأدركتْ أنها فرصتُها وقد أتت لها طائعة على طبقٍ من فضة فبادرته بنبرة يمتزج فيها الحزن بالهدوء الحاسم كمن تلقت لتوِّها صفعةً مُهينةً من وقْع كلماته عليها متسائلة :

• إبراهيم.. حبيبي.. ماذا ظننتَ بي؟ هل راود خيالك أنني امرأة سهلة المرام يا إبراهيم؟؟ هل تراني إحدى البَغايا المتهتكات ينالني من يشتهيني كفاكهة ملقاة في قارعة الطريق؟... إبراهيم... أنا زوجتك، فامرأة حرةٌ مثلي لا ينالها إلا زوجها.. ولكن في الأمر سر علي أن أخبركَ به الآن..!

• سر؟ أيّ سر يا ثولار؟

• اسمعْني جيدًا من فضلكَ.. لقد خَشيتُ أن أطلعَكَ بحقيقتي منذ البداية، فتخاف مني أو تفزع؛ فأخسرك للأبد وأحرم منك، وأنا

العاشقة التي اخترقت القوانين وتحدَّت عالمها من أجلكَ.. قالتْ عبارتَها الأخيرة بعينين دامعتين وصوتٍ مُتهدِّج بالبكاء أجادت تلحين نبراته ليبلغ تأثيره عليه المدى الذي أرادته له، وارتمت بين أحضانه وهي تكمل حديثها استعدادًا لما ستلقيه عليه، متسائلةً في دلال :

هل أنا متيمة بكَ وحدي؟ ألا يجدُ غرامي صداهُ لديك؟ فضمها بقوة نافيا عن نفسه ما ادَّعته وأسرع بقوله :

بل أعشقكِ كما لم أعشقْ من قبل.. حتى إنني لا أدركُ متى حدث هذا ولا كيف حدث؟ ولكن ! ثولار... ماذا تعنين بأنّك زوجتي؟ متى تزوجنا؟ وأيّ قوانين تلك التي اخترقتِها وأيَّ عالم ذلك الذي تحدثته من أجلي؟ انتظري.. سأجيبُ أنا...فأنا يراودني شكٌ ما أنني مريض بالسيكتزوفرينيا.. فهل من الممكن أنني أعيش حياتين أنتِ في إحداهما؟.

أجيبيني.. هل ثمّة أمر أجهله عن حياتي؟

• بالطبع لا، إبراهيم.. أنصت إلي جيدًا وحاول أن تتفهم..

لا أنت مريض، ولا أنا في الأصل إنسية من بنات حواء.

• ماذا؟ ((قالها بفزع ودهشة))

• نعم، تلك هي الحقيقة.. اهدأ.. ما أنا إلا إحدى أميرات الجانّ، والدي ملك من ملوك الجان له مهابةٌ ونفوذٌ وسلطان، وما كانت عائلتي ذات المقام الرفيع لتسمح لي بمقابلة إنسي مهما كانت مكانته إلا وأنا بالفعل زوجته، فتلك قوانين عالمنا، ومنذ أن أحببتك أخذتَ عائلتي علي أغلظ المواثيق ألا تراني إلا عندما تطأ بأقدامك أعتابي.

لذا.. ما إن رأيتك في تلك الليلة تقف على مشارف مملكتي حتى أيقنت أنها ليلتي وأنني قد واتَتني فرصتي؛ فأذن لي والدي وشيد هذا القصر المهيب في لمح البصر وأضيئت مصابيحُه وقناديله، وعزفت المعازف احتفالاً بزواجنا، ليعلم الجميع في أرجاء جميع الممالك أن ابنة مليكهم قد تم زفافها لمن وقع عليه اختيارها... ولكن ! كان شرط قومي قاسيا علي وحاسمًا، وكان في قبول الشرط مجازفةً بحياتي ولكنني !... قبلت، وحمدتُ ربي أنك قد أتيت.

• وماهو ذلك الشرط؟

• لو أنّكَ رفضتَ حبي لك وزواجي منك بعدما ظهرتُ لك سأعدمُ حرقًا على رؤوس الأشهاد لما سببته من إهانة لجميع بنات جنسي ومقام والدي.

• حقًا؟؟

• للأسف ! فما رأيك الآن؟

• أوَتسألين؟؟ أحبكِ..

ابتلع المسكين الطُعم وتنفس الصعْداء فرحًا بأنه كما اعتقد وصوَّرت له بدهائها أنها مؤمنةٌ بربه وأنه زوجها، وأن جميع الأمور تسير على ما يرام، فما من مشاكل سيواجهها بتلك العلاقة، كما أنه ليس بمريض كما كان يظن، وأيضًا لم يقع في إثم كبير، وإن لم يكن يومًا شديد التزمت في تدينه أو شديد الحرص أن يكون من أهل الصلاح والتَّقى، ولكن مما يبعث الراحة في النفس ألا يشعر الإنسان بالذنب، أو بالأحرى لا ينغمس في الخطايا، لذا فقد قام متهللاً من الفرحة يدور بها راقصًا في قلب الغرفة.

وبهذا اجتازت ڤولار الإعلان عن حقيقتها بنجاح باهر، بل إن طريقتها زادته قربًا منها ومكنتها من إحكام قبضتها عليه.

(٩)

بعد مُضي عدة أيام أخرى غرق فيها إبراهيم في بحورِ من عسل الغرام مع ڤولار، بحارٌ ما لها من شطآن تمنى ألا يخرج منها أبدًا... و لكن !

المُهلة لدى ڤولار محدودة، وعليها أن تسرع الخُطى نحو الهدف الذي من أجله بدأتْ لعبتها؛ فباغَتتْه بكلماتها أثناء جلوسهما في الشرفة المُطلة على حديقة القصر الغنّاء ، الممتدة على مرمى البصر وكأنها قطعةٌ هبطت من الجنة تجري من تحتها الأنهار، وتحفها نوادرُ الأشجار، وتمتلىء بعجائب الثمار، فهمست له بدلالها المعهود :

• حبيبي.. وددتُ لو حجبتُك عن العالم بأسره، واحتفظتُ بك هنا، في مملكتي، لي وحدي.. ولكن! لأنني امرأة أحبّت بصدقٍ وذابت عشقًا فيك من رأسها حتى أخمُص قدميها؛ فقد قبلتُ التحدي الذي وضعته لي عشيرتي وقررتُ أن أثبت لهم أنني جديرةٌ بثقتهم، وأنني حقًا قد أحسنتُ الإختيار، وأن ذلك الإنسي الذي شغفني حبًا وفضلته على أمراء وملوك الجان جدير بي، ومن خيرة بني الإنسان، وجدير كذلك بمصاهرة والدي أحد أبرز ملوك الجان، وعائلتي ذات الأمجاد والسلطان، بل أنه سيدٌ في قومه من بني

الإنسان... لذا.. فقد آن يا حبيبي الأوان أن تعود لعالمك لتصبحَ سيدًا في قومك.

• عالمي؟؟ أيّ عالمٍ تقصدين يا ڤولار؟، ألا تعرفين أيّ عالمٍ بائسٍ أتيتك منه؟ ثمّ أيّ سيادة تلك التي تعنينها لقومي؟

عالمنا يختلف كثيرا عن عالمكم.. حياتنا عصريةٌ بشكلٍ مُخيف.. وإيقاعات حياتنا تقطع أوَاصر الترابط بين البشر...ثم.. أخبريني لماذا لا تستمر حياتنا هنا كما نحن الآن؟ نعم بالحب والسعادة في كل آن؟

تساءَلَ وهو يَحوطها بذراعيه من الخلف، مُطوقًا خصرها النحيل وهي تنظر من الشرفة بإتجاه الحديقة الممتدة على مرمى البصر، ثم أردف قائلاً :
كما أنني تغيبت عن ذلك العالم منذ مدة ليست بالقصيرة، وأخشى إن عدتُ الآن أن أجد الأمور ازدادت سوءاَ..

ضحكت ڤولار بدلالٍ تجيده ببراعة، قائلةً : حبيبي.. لا تقلقْ.

فما لا تعرفه عن أسرار عالمي كثير جدًا وأحد تلك الأسرار المذهلة أن عالمي لا تحكمه مقاييسكم الزمنية، بمعنى أوضح أن بين عالمنا وعالمكم فجوة من الزمن لا تخضع لتلك المقاييس التي

تعـرفونها أنتم، لكنك عبـرت إلـي مـن خـلال هـذه الفجـوة وسـتعود منها كما جئت.

• معقولٌ؟

• هاهاهاها... بالطبع لا، لـيـس معقولاً يـا حـياتــي نحـن نأتــي مـن فوق إدراك العقول... ببــساطة نحـن فــي حــيز آخــر مـن الكـون لا تنطبق علـيه مقاييـس عالمكم ولا يخضع لحـسابات أزمانكم...دعك من هذا الآن لاتشغل عقلك البشـري به فالأمـر قد يبدو لك معقدًا نوعًا مـا كالفـرق بـين عالم الـروح وعالم الجـسد... ثم أرْدَفت مُطمئنةً له :
لا تخشَ شـيء يا حبـيبـي ستجد فـي عالمك كل شـيء علـى مايــرام، حتـى طعام موكا وشـرابها، كـما أن علــيكَ ألا تنــس يـا إبـراهــيم أن نجاحك الذي أرُومُ إلـيه وأتمناه مـرهونٌ بوجودك فـي عالمك.

• و لكن !!

• ماذا؟

• أريدُكِ معـي فـي عالمـي.

عَلتْ ضحكتها بدلالٍ وهـي تضمه قائلة :

وهل تظنَّ أن أتركَكَ وحدكَ؟.. لا يا حبيبي... فأنا امرأةٌ من لهب، أشتعل بنار الغيرة، ولن أترك إحدى بناتِ حواء تلوذ بك أو تقاسمني فيك.

• حقًا !!

• طبعًا.. هذا لن يحدث أبدًا، خاصة وأنك ستصبح من أغنى وألمع رجال عالمك الناجحين، فمن الطبيعي إذن أن تحاول بناتُ حواء الماكرات الإيقاع بك والفوز بقلبك، ولكن هيهات لهن ذلك، فأنت يا أميري لي وحدي؛ أميري أنا وسيد قلبي، وعليك أن تدرك ذلك وتعيه جيدًا.. ولكن لحاقي بك في عالمك أمر يحتاج لبعض الترتيبات التي علي إنجازها في عالمي قبل اللحَاق بك ومساندتك.

• وماذا لو اشتقتُ إليكِ؟ كيف سيتسنى لي رؤياكِ يا حبيبتي.

• سأريكَ كيف يتسنى لك ذلك... هيا معي..

وأمسكت ڤولار بيديه وأخذته وهرولت به مسرعةً إلى غرفتهما ولمست بأناملها مرآة كبيرة مُثبتة في الجدار فتحولت كأنها صفحة ماء وبها صندوق نحاسي عتيق عليه نقوش بارزة وأحجار يتأرجح فوق الأمواج، أخرجته وفتحته فظهرت داخله قلادة من الجلد البني الداكن تتدلى منها قطعةٌ من المشغولات الفضية مُثلثة الشكل أسفلها أكثر سُمكًا من أعلاها؛ فتبدو هرمية الشكل نوعًا ما،

مصنوعةً بمهارة وإتقان برغم كونها تعود لعصور قديمة وعليها نقوش وأحرف متداخلة تشبه الأحرف العربية وأخرى تشبه اللاتينية أو العبرية ويتوسطها حجر أزرق شفاف بلون مياه المحيط الداكنة، مُذهل، يبدو كأنه حدقة عين عميقة تأخذك داخلها إن نظرتَ إليها، أخذت ثولار القلادة من الصندوق ثم أغلقت الصندوق وأعادته إلى الماء فغاص واختفى وعادت المرآة لسابق عهدها، مجرد مرآة مثبتة في الجدار ثم التفتت لإبراهيمَ المذهولِ المأخوذ بروعة ما رآه وغرابته، ثم ألبسته تلك القلادة وأخذت عليه أغلظ المواثيق ألا ينزعها أبدًا وإلا لن يستطيع رؤيتها مُجددًا..

طالما بقيت تلك القلادةُ تحتضن عنقه فما عليه إلا أن يقبضَ على القطعة الفضية المتدلية منها بكلتي يديه ليجد ثولار ماثلةً أمامه وبين يديه لتسانده في كل لحظة من حياته... ثم نظرت إليه بعينين دامعتين يملؤهما الحب الذي أجادتْ دومًا إظهاره له ، وقالت :

• وهذا سر آخر من أسرار عالمي المذهل أهديه إليك، لم يمتلكه إنسي قبلكَ، فأنت لست أي إنسي إنك زوج أميرة من أميرات الجان.

• لكنّكِ يا ثولار بالنسبة لي أغلى وأثمن الأسرار.. لا يعدلكِ كل كنوز الدنيا.

ضمته بحنانٍ قائلةً : الآن... حان الوقتُ لابد من الرحيل قبل مغيبِ الشمس في عالمي، هيا.. أغمضْ عينيك الآن لتعود إلى عالمك.. وتذكر أنني قريبًا جدًا يا قلبي سأكون بصحبتك فأنا فقط أحتاج وقتًا يسيرا هنا..

****

أغمض إبراهيم عينيه بعد أن قبّل ڤولار لتوديعها واحتضنها حتى كاد أن يصهرها بين ذراعيه، ثم فتح عينيه ليجد نفسه جالسا أمام مِقوَد سيارته، وقد أطاح بمقعده للخلف مُتخذًا وضع الاسترخاء على جانب طريقٍ صحراوي مُظلم وساعة السيارة تشير إلى الواحدة صباحًا، نظر إلى حيث كان الضياء فلم ير إلا الظلام الدامس وبعضَ النجوم تلتمع في السماء...

ارتبكت الأفكار في ذهنه وظنَّ أن ما مر به من أحداث غريبة لا يعدو كونه حُلمًا فكأنّه فيما يبدو نام لثلاث ساعات متواصلة، إلا أنه لمح في مرآة السيارة تلك القلادة متدليةً حول عُنقه؛ فأيقن أنه لم يكن حُلمًا أبدًا، وليست هلاوس سمعية وبصرية كما يعتقد د. مهاب، نعم، لم يكن حُلمًا أبدًا...

خالجته مشاعر مُختلطةٌ.. تمتزج فيها الرهبة بالرغبة والخوف بالتمني والتيه بالتحفز لما هو آتٍ... حقيقةً هو مضطربٌ جدًا الآن

ولا يدرك كُنْهَ ما يحدث معه، ويشعر بصداعٍ يكاد يفتك برأسه من جراء تصارع الأفكار داخلها..

أعاد المقعد لوضعه المعتدل وهو ينظر إلى حيث كان الضياء فلم ير سوى صحراء مُقفرة، أدار مفتاح سيارته ليجد مؤشر الوقود يشير إلى امتلاء خزان الوقود فتحسس قلادته وابتسم وتمتم في سعادة قائلاً : إنها تلك الحسناء الآسرة، أميرة الضياء، فاتنتي، بل زوجتي.. ڤولار

شعر لكلمة(زوجتي) بوقعٍ غريب في نفسه، كأنه تائه بين الواقع والخيال... لكنه شعور لذيذ على أية حال...

obeikandl.com

obeikandl.com

(١٠)

قاد إبراهيمُ سيارته بنصف وعي تتصارع الأفكارُ داخله وتتقاذفه المشاعر المتضاربة كسفينة ضلَّ رُبَّانها طريقه في بحر ثائر؛ فكل مامر به من أحداث وحبٍ وزواجٍ وغرامٍ وحياةٍ كألف ليلة لم يستغرق سوىٰ ثلاث ساعات فقط من مقاييس الزمن البشري... يضيع البشر أعمارهم هباءً إذن.

وصلَ إبراهيمُ لمنزله الذي تقتسم موكا معه الحياة فيه، في الحي الهادىء الراقي في أطراف المدينة والتي استقبلته بموائها وكأنها تسأله مُعاتبةً : أين كنت حتى هذا الوقت المتأخر؟

نظر إليها بنصف عينٍ وهو يتثاءب ويجر قدميه جرا حتى ارتمى في أحضان فراشه وهو يرتجف من البرد والتوتر معًا؛ فتدَثر بلحافٍ وثير وغطَّ في نومٍ عميق في غضون ثوانٍ معدودة وهو يحتضن وسادته كطفلٍ متشبثٍ بأمه.

نام إبراهيم لساعاتٍ طويلة وكأنه سافر دهرا، ليستيقظ وشمس اليوم التالي قد أوشكت على المغيب، وشعور غريب بالخدر يثقل أطرافه، ورغبةً جامحة تسحبه إلى النوم مرة أخرىٰ،

وكأنما يهرب إليه من أفكارٍ تفتك برأسه وتقرعها بمطارق من حديد.. يهذي وهو بين النوم واليقظة كالمحموم باسمِ ڤولار وبتمتماتٍ غير مفهومةٍ ثم يستسلم للنوم من جديد..

لاشك أن مامر به ليس بالأمر اليسير، ولا شك أيضًا أن اختراق كهذا لطبيعته البشرية يجعله يحتاج لقسطٍ وافر من الراحة ليتوازن من جديد، خاصةً وهو لم يكنْ متوازنًا منذ البداية فما لبث أن غادرَ أريكةَ طبيبه النفسي حتى ألقي به في متاهاتِ عالم ڤولار.

وها هو الآن مُلقى بين أحضان لحافه وَوِسادته يلوذ بالنوم لينجو من بين براثن واقعه الأغرب من الخيال، تأخذه الأفكار وهو بين نومه ويقظته فيتخيل ماذا لو علم د.مهاب بما جدَّ على حياته من غرائب وعجائب! هل سيصدقه هذه المرة؟ أم سيرى حتمية إيداعه في مشفى للأمراض العقلية؟ لذا استقرت داخله فكرة أن يطوي صفحة العلاج النفسي هذه إلى الأبد، فلم يعدْ أبدًا بحاجة إليه بعد الآن...

(١١)

أسرعت ڤولار لتلبيةِ استدعاء كبير الحكماء المُلقب بالرأس الأعظم لها في كهف الحكمة، فالتهاون في موعد كهذا رفاهية لا تملكها ڤولار ولا غيرها في مملكة الجانّ، وعلى الرغم من دهائها الذي يُشاد به إلا أنها كانت تقف أمام بوابة الكهف تترقب فتحها مرتبكة كطفلةٍ ترتعد فرائصُها أمام المعلم تنتظر توبيخه لتقصيرها في أداء فروضها، وما إن سمعت أزِيزَ بوابة الكهف تُفتح حتى ارتفع خفقان قلبها بقوة، فهذا يعني اقتراب وقوفها في حضرة كبير الحكماء، وهو الأمر الذي طالما راود أحلامها من قبلُ، ولكنها الآن في وضعٍ مختلفٍ..

إنها الآن تقف بين المطرقة والسنْدان، تهددها لعنةٌ أبرمتْ بين والدها وبين ملك ملوك الجان، ختمها وأقرها جميع ذوي المهابة والسلطان، تشعر كأنها تسير على خيطٍ من اللهب فإما أن تعبره فتحقق مرادها، وحينئذٍ لن يوقف أحدٌ حدود سلطانها وإما سقطتْ وهوتْ من علِ لتجد نفسها تسكن ياقوتة ملعونة تعلو خاتم يطوق ميثاق عقوبتها ومُلقى داخل صندوقٍ معتم في كهفٍ مظلمٍ في غياهبِ محيط الظلام..

obeikandl.com

كانت الأفكار تستعر داخلها وهي تَعبر ممر الضياء البلوري المؤدي لقاعة عرش الحكمة، وماهي إلا لحظات قليلة حتى مَثلتْ ڤولار راكعة أمام عرش كبير الحكماء مؤدية فروضَ الولاء والطاعة تتوسط ماردين لم ينصرفا حتى أشير لهما بذلك...

انحنت ڤولار في تهذيب مرددةً :

• سمعًا وطاعة مولاي الرأس الأعظم.

• انهضي يا ڤولار واجلسي يا بنيتي فلدينا الكثير لنرتبه سريعًا لتنجزي مهمتكِ في المهلة المحددة لكِ دون تأخير؛ فأنت تعلمين أن الملكَ أبنان قراراته نافذةٌ لا محالة ولا يستطيع أيّ منا إثناءه عنها.

• نعم سيدي أعلم ذلك وأعيه جيدًا، لكنني أطمح في نيل ما أصبو إليه وهو شيء عظيم حقًا بالنسبة لي، وإلا ما جازفت، فلو تمّ الأمر كما أردته وخططتُ له لتغيرتْ أشياء كثيرة سأزلزل الأرض تحت أقدام البشر.

• تغيير الثوابت ليس بالأمر الهين يا ڤولار إنك تتحدثين عن قوانين أبدية يا صغيرتي وهناك عهودٌ ومواثيق عُقدت ورُصدت وصُفدَت منذ الأزل بين إلهنا وإلههم، الذي كفرنا به وتحديناه وحاربنا أنبياءه، وجندنا أقوامَهم ضدهم، ونجحنا في إفساد عقائد أقوامهم حتى أولئك الذين آمنوا بهم... لذا.. لم يعد بإمكاننا تغيير ثوابتنا الآن..

• سيدي.. أنا أسعى فقط لتعديلِ بسيطٍ في الكيفية، ووسائل الوصول لأهدافنا المقدسة بما يتناسب مع تطور العصر ومستجداته

• اممم ألِهذا اخترتِ مهندس برمجيات؟

• نعم، هذا أحدُ الأسباب يا سيدي.. لقد حاربنا البشر منذ عهودٍ ونجحنا دومًا حتى جعلناهم لايشبهون أسْلافهم، كما استطعنا تحريرهم كليا من قواعد الفكر البشري لينحازوا تمامًا لما نريده منهم، فأصبحوا يدعموننا بشكل أكثر فعالية وينفذون بيسر وسهولةٍ ما نريده، دون حتى أن نطلبه، سيدي الرأس الأعظم خطتي لو تمَّت كما أردتُ لها ستزعزع ممالكهم بلا رجعة، وتثبَت أركان مملكتنا وتمهِّد الأرض لاستقبال انتصاراتنا اللامحدودة وسطوتنا الكاملة على العالم، ولن يشعروا بوجودنا بل إنهم سينكرون وجودنا إن نطق به أحد لأننا سنستخدم علومهم في إغوائهم، وسلاحهم في دمارهم، وغرورهم في الفتك بهم.

• كل هذا تتوقعين حدوثه بسيطرتك على مجردِ إنسي مؤمن؟ أخشى أن يُكلفَك وهمك هذا الكثير يا ڤولار، لمَ لمْ تختاري أحد المارقين عن الأديان لتكون قيادتك له أيسر ويأتيك بنتائج ترضيك وترضينا جميعًا أكثر، فالعهد الذي أبرمناه مع إلـهِهم من ضمن بنوده أن عباده المُخلَصين ليس لنا عليهم سلطان، وأخشى

أن يكـون مـن اختــرتِه هـذا مـنهم فـيذهب تعبـكِ أدراج الــرياح وتكملـي حـياتك داخل ياقوتة.

• قبلـتُ المجازفـة سـيدي الــرأس الأعظـم، بـل إننـــي أشعــر بلـذة المغامـرة رغم صعوبتها، وأطمح فقط فـي دعمكم المقدس..

((قالت عباراتها تلك وهـي تُومـيء بـرأسها فـي انحناءة تهذيب))

• سأوفـر لكِ كل ما تحتاجـينه من الدعم، فلقد وعـدتُ والـدكِ الملـك قطـربان بذلك، ولكن!.. انتبهـي جـيدًا فالنتـائج مـسئولـيتكِ وحـدك؛ فلن أدفع عنكِ خطـرا سعـيتِ إلـيه بكامـل إرادتـكِ، فلقـد أخطـأتِ عندما منحتـيه قلادة الأمجاد العلـيا دونما عهدٍ تـربطـينه بـه، و دون أن تـسقـيه كأسَ الدم البشـري، لقد وهبتِ له خُدام الــسلطة والمـال بلا مقابل، وبلا مـيثاقٍ حمايةً للقلادة المقدسة. كـيف أقـدمتِ علـى مثل هذه الخطوة بلا دراسة ياڤولار؟ كـيف؟ أين كان دهاؤكِ حـينها؟

• سـيدي الـرأس الأعظم مـن دراستــي لتـاريخ البشــر عبــر العصـور الـسحـيقة وجـدتهم يتنـازلون عـن عــروشهم وممالكهـم ويشـعلون الحـروب ويَنْصاعون تمامًا لإرادتنا ويعصُون أنبـياءهم وإلــههم الـذي يدّعون عبادته من أجل أهوائهم وما يــرغبون بـه».. سـيدي.. البشــر فـي حقـيقتهم لا يعبدون سوىٰ أهوائهم، بل إنهـم يبـذلون كـلَّ غـالٍ ونفـيس من أجل إرضاء نزعاتهم وغـرائزهم، وما علـينا سوىٰ أن نضع

أقدامهم على الطريق الذي نريده نحن ونختاره لهم، ونذلل لهم السير فيه، ثم نزينه لهم بوساوسنا وإيعازاتنا.

• تعتقدين يا ڤولار أن غرامه بكِ كفيلاً وحده بتحقيق مآربكِ و حماية القلادة المقدسة؟!... تهذين بالتأكيد.

• سيدي الرأس الأعظم... تعلمُ جيدًا أن ملوكًا منهم تنازلوا عن عروشهم من أجل الحب.. حب إنسية بائسة ساذجة من بنات حواء متواضعة الجمال، متواضعة الذكاء ، متواضعة القدرات... فماذا لو وقع أحدهم في حب ڤولار؟ وما أدراك ما ڤولار !

ضحك الرأس الأعظم مِلْءَ فيه معجبًا بخيلاء ڤولار، واعتدادها بنفسها، وإن لم يكن هذا كافيا لطمأنته، فبادرها قائلاً :
• سأدعمُكِ بكل تأكيد يا ڤولار، فمن المؤسف أن ينتهي بكِ الأمر حبيسة ياقوتة مرصودة فلا ترى عيناك الجميلتان ضوءَ النهار، ومن المؤسف أن تفقد مملكتنا الخالدة فاتنة كـڤولار، وتفقد معها قلادة الأمجاد المقدسة.

• ابتسمت ڤولار ابتسامةً قَلِقةً، وقالت في استسلام :
أما عن القلادة المقدسة فستعيدها تعويذتها إلى صندوقها القابع مكانه في أمانٍ إذا أصابني مكروهٌ، وأما عن ڤولار.. فسيحفظها دعمُكم المقدس لشخصها المتواضع يا مولاي.

• وعدتكِ بالدعم يا عزيزتي.. إن جيشًا كاملاً من الشياطين سيكون تحت إمرتكِ ورهنَ إشارتكِ حتى تُذلل لكِ الصعاب وتُفتح لكِ الأبواب.. و لكن! عليكِ أن تتذكري أمرا هامًا؛ فكما كان في مجلس الحكماء من يريد دعمك؛ فهناك أيضًا من يريد هدمكِ وهذا الفريق سيسعى جاهدًا ليعرقل بلوغكِ لمرادكِ ويصعِّب عليكِ مهمتكِ ، وليس لي عليهم سلطان لأمنعهم.

أوْمَأت ڤولار برأسها مشيرةً لتفهمها، وانحنتْ في تهذيب تستأذن في الانصراف لتبدأ في تنفيذ مهمتها الصعبة، والتي تحتل من نفسها منزلة التقديس... ليس ذلك فحسب، بل إن نجاحها في مهمتها هو طوق النجاة لها من حياة في قلب الظلام في تلك الياقوتة الملعونة.

(١٢)

أشرقت شمس اليومِ الثالث منذ عودة إبراهيم إلى عالمه، استيقظ متثاقلاً على صوت مُواء قطته الذي لايهدأ وهي تنشب مخالبها في وضع الانقضاض وتتلفت حولها في كلِّ إتجاه في غرفته التي أسدلت ستائرها لتحجب عنها كلَّ ضوء قد يتسلل إليها.

نظر إلى موكا الفَزِعة من شيء ما بعينين ناعستين تجاهدان لرفع أجفانها ويخاطبها بصوتٍ مازال يحتله سلطان النوم ، قائلاً : ماذا انتابكِ يا موكا؟ لماذا تموئين هكذا؟ اهدئي قليلاً يا عزيزتي، هل رأيتِ عفريتًا؟... قالها وهو نصف نائم يهذي... ألا ما أجمل العفاريت وما أكذب البشر بشأنهم!

ولكنّها لم تهدأ أبدًا بل ازداد مواؤها حتى اكتمل استيقاظ إبراهيم، فأزاح عنه لحافه الوثير ونزل من فراشه متثاقلاً كأنما يحمل ساقيه وسار كالثَّمل إلى الحمام ليلبىَ نداء طبيعته البشرية، ثم اغتسل، والتفَّ بمنشفة كبيرة أسفل خَصره وأخرى أصغر منها على كتفيه، وخرج إلى المطبخ ليعد لنفسه قهوة الصباح حتى يُكمل مراسم استيقاظه.. كل هذا وموكا لم تكف عن المواء حتى

بعد أن وضع لها المزيد من الطعام والشراب مما أزعج إبراهيم وكاد أن يخرج عن شعوره؛ فصرخ فيها ناهرا :
موووووكاااااااا.. كفى صراخًا ومواءًا، وإلا أخرجتك خارج المنزل وتركتكِ تصارعين كلاب الشوارع.

قال هذا صارخًا مُصَوّبًا نظراته الحادة نحو موكا المسكينة التي انصرفت من أمامه غير راضية عن نظراته وصراخه فيها، وكأنها قد فهمت تهديده لها، وراحت تنشُب مخالبها وتحكها في الجدار مُصدرة مواءًا ضعيفًا.

عاد إبراهيم حاملاً كوب قهوته وبعض شطائر الجُبن أعدها لإفطاره متجهًا إلى غرفته ليرتدي ملابسه بدلاً من تلك المناشف التي تعلو جسده.

وضع قهوته وصحْن الشطائر على منضدة بجانب أريكته الوثيرة الأثيرة التي تحتضنه مُعظم يومه أمام التلفاز المُعلق على الجدار والذي غالبًا لا يلتفت إليه بقدر ما يستمع إلى صوته أثناء متابعته لحاسوبه أو قراءاته للكتب والأبحاث وما إلى ذلك؛ فإبراهيم قضى أكثر من نصف عمره قارئًا فكأنما دخل للعالم من بوابة الكتب.

إتجه إبراهيم لخزانته ليرتدي ملابسه، مسح على شعره الأملس ومشطه للخلف وربطه بشريطٍ مطاطي داكن في عدم اكتراث، وهو ينظر للمرآة ولا يجذبه إلى صورته فيها شيء إلا

تلك القلادة التي تحتضن عنقه في دلال كصاحبتها، شيءٌ ما يشده لهذه القلادةِ الفريدةِ التي لم ير لها مثيلاً من قبل، يستنشق لها عبقًا خاصًا يُشعره بطاقةٍ غريبة تدبّ في أوصاله، كما شعر بنشوة غريبة برقت لها عيناه السوداوان حين تذكر ڤولار بحسنها وفتنتها، وسرت قشعريرة غريبة في جسده إذ شعر لوهلةٍ كأنها تبادله النظرات الآن، وكأنها تُطلُّ عليه من مرآته؛ فأغمض عينيه وفتحهما فلم يرها؛ فأقنع نفسه أنه واهم، لكنه وهمٌ لذيذ على أيّة حال...

أكمل ارتداء ملابسه، وارتشف قهوته وهو يفتح حاسوبه ويتناول إفطاره بلا وعي كالمعتاد. تصفح الـ (E- mail) الخاص به ليجد في (in box) رسالة جديدة من إحدى شركات المُضاربة في العملات العالمية لتخبره أن الأسهم الخاصة به ستربح مبلغًا طائلاً لو أتمَّ الصفقة المعروضة عليه الآن، وبدون تعمق في التفكير قام بعقد الصفقة فأتمَّ عملية شراء وبيع بالمبلغ المتواضع الذي خصصه لهذا النوع من المضاربات عبر شبكة الإنترنت والذي لمْ يزدْ كثيرا منذ بدأ تلك المضاربات ولكنه يحبّ تلك اللعبة.

كرر عدة صفقات من نفس النوع بعملات مختلفة ليفاجأ بأن إحدى تلك الصفقات قد حققت أرباحًا طائلة لم تحدث له من قبل، وأن رصيده المتواضع آخذ في التضاعف بشكلٍ مثير للدهشة.. ما هذا؟ لقد تحول رصيده لخانة الآلاف بعد أن كان لا يتجاوز مئات قليلة، ما هذا؟؟ الآلاف تتضاعف.. يا إلهي ! ماذا يحدث؟ هناك

خلـلٌ مـا.. أهـو واقـع أم خـيال؟ أم أن هـذا الموقـع مجـرد لُعبـة إلـيكتـرونـية من ألعاب الإنتـرنت؟؟ أم تـرانـي انتقلت للحـياة داخـل أحد أفلام هولـيود التـي تعجّ بالخـيال؟...

لا يكاد يـستوعب ما يحدث معه.. خـرج مـن الموقـع ثـم دخـل مـن جديد، أدخل أرقامه الـسـرية من جديد، راجع البـيانات الشخصـية، كلٌّ شـيء صحـيح... راجع خانة الـرصـيد الحالـي لـيتأكد فوجده فعـلاً قد تضاعف لعدة آلاف من الدولارات لم يحلـم يومًـا أن يصـل إلـيها، اتصل عبـر الهاتف بالبنك الإلـيكتـرونـي لـيتفحص حـساب بطاقتـه الإئتمانـية، فتأكد بالفعل أن هذه الأرقام قد أضـيفت لحـسابه، أغلـق هاتفه وهو فـي حالة ذهولِ...

مازال غـيـر قادر علـى استـيعاب ما يحدث، و لم يقـرر بعد كـيف سـيتعامل مع تلك الأرقام المالـية الكبـيـرة التـي أضـيفت لـرصـيده، ولكن!

ببعض الـسذاجة البشـرية تفاءل بظهور ڤولار فـي حـياته وبقلادتهـا المتدلـية حول عنقه وقـرر إكمال الصفقات لـيـرى ما سـيحدث.

(١٣)

تلك الأرباح الغير متوقعة التي حققها إبراهيمُ في وقت قليل أشعلته بالحماس وبدأ يشعر أن الحياةَ عادت لتبتسم له من جديد، فواصل عقد الصفقات والمضاربات، وكلما راوده خاطر الخسائر المحتملة لم يُعرهُ اهتمامًا ولم يعبأ به إطلاقًا فلكم خسر من قبل! فلن يؤثر عليه إذن أن يتجرع المزيدَ من كُؤوس الخسارة التي اعتاد مذاقها وألفها فلم تعد تخيفه أو تزعجه على الإطلاق، وبالرغم من كونه قد أصبح فجأة يمتلك أرقامًا نقدية لم تغازل مُخيلته من قبل، ولكنّه لم يلمس شيئًا حقيقيا منها بعدُ، فمازالت مجرد أرقام في حساب بطاقته الإئتمانية، ولم تدخل حياته الحقيقية بشكل فعلي بعدُ، شأنها شأنُ أيّ لعبةِ إليكترونية خيالية مما اعتاد قضاء بعض وقته في ممارستها، ومازال هو بين أحضان أريكته، فلا بأس من الاستمتاع بالمغامرة حتى نهايتها وليحدث مايحدث، فإما وثْبة قوية تصعد به إلى عنان السماء وتغير حياته، وإما خسارة لن يشعر بتأثيرها، ولن تغير شيئًا في واقعه؛ فهو لم يجرب رفاهية الأثرياء بعد ليشعر بافتقادها إن خسر.. إذن هيا فلنكمل المغامرة وليكن مايكون...

هكذا حدَّث إبراهيم نفسه وهو منهمكٌ في المضاربة بالعملات ببساطة دون أدنى توتر أو قلق، وكأنه يستمتع بإحدى ألعابه المعتادة بلا كلل أو ملل، بيدَ أن اللعبة هذه المرة حقيقية والأرباح فعلية.

****

لقد تغير كثيرا إبراهيمُ في هذه الأمسية.. فقد مرت عليه أربع عشرة ساعة منذ أن استيقظ تبدَّل فيها واقعه ليصبح في عداد الأثرياء، انتصف الليل ومازال يشعر بالنشاط يدبّ في أوصاله والطاقة تملأه بالرغم من عدم تناوله أيّ شيء سوى بعض الفاكهة التي اعتاد وضعها بجوار أريكته، وكأن حصْده للأموال قد غير كيمياء جسمه ونبّه جميع حواسه وخلاياه ووهبها الطاقة، عجبًا.. ! لم يكن إبراهيم من قبل أحد عبيد المال والباحثين عنه، بل كان دومًا ما ينأى بنفسه عن أن يكون ممن يتذللون ويتوسلون ويتنازلون عن مبادئهم من أجل المال، ولكن هذا المال أو بالأحرى هذا الثراء له مذاق مختلف، حيث يأتيه طيعًا بلا حروب قذرة وبلا مداهنات ومنافسات وصراعات، وكل من عليه التعامل معه هو حاسوبه الخاص، ذلك الصديق الرفيق الذي لازمه في أحلك أوقاته ونفس عنه معظم كروبه، وها هو الآن يذوق طعم الفرحة والنجاح بفضله، وبفضل تواصله بالعالم من خلاله.

إنها ليست الفرحة بجني الأموال فحسب، بل هي تلك الفرحة بمذاق النجاح الذي طال غيابه لسنواتٍ فَقَدَ معها الشعور بطعم الحياة...

صاح إبراهيم في فرحةٍ طفولية.. هاااي مرحى مرحى أيها الثراء... لقد أتيتَ إليّ... نعم أتيتَ بكامل إرادتك الحرة، فأنا لم أطلبْك ولم أسعَ إليكَ ولكنك... أتيتَ.

هكذا أطلق إبراهيم متهللاً صيحة انتصاره، حيث شعر أخيرا أنه انتصر على سوء الحظ الذي لازمه منذ مدة ليست بالقليلة..

أكمل صفقاته ببريقٍ يتلألأ في عينيه وابتسامة رائقة تعلو شفتيه، وحياة تجتاحه من جديد..

obeikandl.com

obeikandl.com

(١٤)

مع بزوغ فجر اليوم التالي...وبعد ليلةٍ مُكللةٍ بالنجاح وحصدِ الأموال، لم يغفل لإبراهيم فيها جفن من فرط اشتعاله بالحماس..

والآن لديه رغبة جارفة في الاحتفال بما حققه، وبأن تشاركه ثولار هذا الاحتفال، فقد شعر فعلاً بشوقٍ جارف لها ولِلمساتها الحانية وعطرها المثير؛ فلقد أشعلت حواسه حقًّا عندما اقتحمت حياته ليس فقط بفتنتها وأنوثتها وإنما بتوغلها داخل أفكاره، بالمذاق الجديد الذي أضفته على حياته... مذاق المشاركة مع قطعة من روحك في مكانٍ آخر... أو هكذا ظن !

ولكنه تساءل في صمت... ترى هل ستأتي؟ قالت بأن عليها تسوية بعض الأمور في مملكتها قبل أن تستطيع المجيء، لكنها وعدتني أن تأتي إذا ما احتضنتُ تلك القطعة الفضية المتدلية من القلادة بين راحتي.. لا بأس في أن أجرب.. لقد اشتقتُ إليها حقًّا.

حدَّث نفسه بهذا وهو يتمطع واقفًا بعد جلسة ممتدة أمام حاسوبه تغيرت فيها موازيين حياته وأعيدت صياغتها من جديد في تلك الليلة المشهودة.

مشى بضْعَ خُطوات ليرى تقاسيم وجهه الوسيم في المرآة وقد كساه بريقُ السعادة، تذكر بأنه لم يبتسم لنفسه في المرآه منذ وقت طويل حقًا. مرر أصابعه بين خُصلات شعره الناعم الفاحم السواد، لاحظ أنه لمْ يعتنِ جيدًا بمظهره منذ مدة طويلة، فلم يكن لديه مايدعوه لذلك، أما الآن فلا...

فها هي الحياة التي كانت عابسة تبتسم له من جديد وعليه أن يبادلها الابتسام، كما أنه يحظى بزوجة بارعة الجمال، بل فاتنة كما لم ير فتنة تضاهيها من قبل، وتلك الزوجة تستحق منه أن يهتم بنفسه أكثر ليليق بها، أما كونها ليست من عالم البشر فهذا لا يعيبها إطلاقًا، بل إنه أشدُّ ما يميزها لديه. فماذا وجد من البشر ليحبهم ويتزوج منهم، فلطالما تعمدوا إيذاءه، ودفعوه دفعًا لاعتزالهم واختيار الحياة على هامش الحياة ليهنأى بنفسه بعيدًا عنهم..

ثم تذكر صحبته الفريدة، هؤلاء الأشخاص الذين كانوا يحتلون جسده أحيانًا ويمتثلون أمامه أحيانًا أخرى ليختلفوا ويحتدم النقاش بينهم..ثم حدَّث نفسه بشأنهم متسائلاً أين هم الآن؟ أين اختفوا؟ لماذا لا يأتون اليوم ليشهدوا نجاحه كما عنَّفوه دومًا في فشله؟ أم إنهم رفاق الفشل فقط؟ عليهم اللعنة لكم ضاعفوا من إحساسه بالفشل..

عَبس قليلاً عندما تذكرهم وتذكر بعض المواقف المؤسفة التي مرت به معهم.. عادة بشرية سخيفة يعكرون بها صفو سعادتهم باجترار المواقف الحزينة من غياهب الذاكرة...

ولكن إبراهيم أصبح مختلفًا الآن.. لقد قرر أن يُنحي كل هذا جانبًا ويبتهج استعدادًا لاستقبال ڤولار.

مشط شعره وربطه مرة أخرى بشريطه المطاطي الداكن إلى الخلف ، تأمل ملامحه وشعر بالزّهْو بنفسه، شعر بأن حدةَ عينيه وشدة سوادهما مع كثافة حاجبيه، وأنفه الأشم وشفتيه الرفيعتين مع بروز عظام الفكين اجتمعت في ملامحه لتهبه مظهرا حادًا يتسم بغموض مميز، وأضفى عليه طوله وعرض كتفيه مهابة تليق بأن يكون زوج أميرة في ممالك الجان...

ما كلُّ هذا الزهو؟، حقيقةً لم يكن إبراهيم من قبل أبدًا بهذا الزهو، ولكن يبدو أن القلادة التي يرتديها بدأت تضفي سماتٍ جديدةً على شخصيته، فنظر لنفسه نظرةً مختلفة لما منحته من الثقة.

****

ما إن احتضن إبراهيم تلك القطعة الفضية المتدلية من قلادته بين راحتيه حتى شعر بعطر ڤولار يملأ المكان ببهجته، وهي تضمه من

الخلف وتنثر قبلاتها على كتفيه في شوقٍ بالغ أجادت إظهاره متى شاءت، تهلل وجهه بالسعادة حين رآها وبادرها قائلاً :

• فاتنتي... خشيتُ ألا تأتي حقًا.

• كيف؟... لا أملك ألا آتي إليك.. هذا غير جائز في شرائعنا، ففي عالمنا يا حياتي الزوجة ملك لزوجها تأتيه متى أراد، وتمتثل له كما يتمنى، فكيف لا أفعل وأنت أيضًا لست زوجي فحسب، بل حبيبي الذي همت به عشقًا وتحديتُ عالمي وعالمك كذلك لأكون لك ومعك في كل حين.. كما أنني يجب أن أشاركك فرحتك اليوم؛ فإن لم تستدعني كنتُ سآتي إليكَ وحدي.

أرضتْ كلماتها غروره الذكوري وانتشى زهوًا بنفسه؛ فطوقها بذراعيه وهمس لها وهو يقبلها :

• حبيبتي... لقد علمتِ إذن بكل شيء، وأفسدتِ علي المفاجأة، ثم غمز لها مداعبًا بقوله : يالكِ من جنية عفريتة !..

وارتفعت ضحكاتهما وأغرقته في سعادة مشتعلةً بلهيب الغرام قبل أن تسلمه لنومٍ لذيذ بين أحضانها لتبدأ في بث سمومها في عقله، وإعادة صياغة أفكاره كما أرادت..

ماكرةٌ هي ، تعرف كيف تُحكم قبضتها عليه بإتقان.

(١٥)

لم تُضعْ ڤولار الكثير من الوقت فما إن استيقظ إبراهيم، وانتهى من استحمامه حتى وجدها قد أعدَّت له قهوتها المميزة وبعضَ الفطائر والحلوى للإفطار، وبينما هو يتناول قهوته وإفطاره أخذت تحادثه عن أهمية اختياره لمقر ملائمٍ للشركة التي سيفتتحها في الأيام القليلة المقبلة..

أخذته الدهشة البالغة لحديثها الذي لم يخطر له على بالٍ من قبلُ وتساءل بعدم استيعاب لمدى جديتها في الحديث:

• أية شركة تعنين؟

• شركتك الجديدة لأنظمة الحاسوب والمعلومات والبرمجيات، أليس هذا مجال دراستك الذي برعْتَ فيه يا حضرة المهندس المحترم؟

• (ابتسم في تهكم قائلاً): نعم، ولكن!

هل كل من درس شيء يعمل في مجال تخصصه وبراعته، حبيبتي أنتِ الآن في عالمي أنا، وعالمي يحتاج منكِ للمزيد من الواقعية

• ولكنني لا أمزح، أنا جادَّةٌ في حديثي حقًا يا إبراهيم.. واقعيا.. ستكون لديك شركة في أقرب وقت، وسيكون مطلوبٌ منك أن تصل الليل بالنهار لتصل بشركتك للعالمية.

• نعم، ولكن ! السوق مليئٌ بالحيتان في هذا المجال الذي بات يسيطر على عقول البشر في هذا العالم، ولا أظنني مؤهلاً مهما كانت براعتي في الدراسة لمنافستهم بخبراتهم الطويلة، وأسمائهم اللامعة، الأمر يحتاج للتروي والدراسة المتأنية قبل خوض غمار تلك المغامرة.

• وهل تظنني أنتظركَ؟ لقد تمت الدراسة بالفعل؛ فنحنُ يا عزيزي لانهدر الوقت مثلما تفعلون.

ضحك إبراهيم ملء شدقيه قائلاً :

• هذا أمر مؤكد لي، وقد لمسته بنفسي حقًا، فقد تعارفنا وتزوجنا وقضينا شهر العسل في ثلاث ساعات.

• جيد أنك مدركٌ لذلك إذن استعد يا عزيزي فستكون أنتَ ملك السوق في هذا المجال في الفترة المقبلة، وسترتفع أسهمك بالصورة التي ستربك منافسيك، مما سيوقعهم في أخطاء فادحة ستصّب جميعها بالطبع في صالحك وصالح شركتك، وبهذا سينتهي أمرهم أمامك وستنفرد شركاتك بالأرباح الطائلة وثقة العملاء..

ستحظى بالشهرة، كما ستحظى أيضًا بالحساد والحاقدين الذين سيموتون كمدًا من نجاحاتك..

• مهلاً مهلاً حبيبتي.. هذا يفوق طموحاتي بكثير يا ڤولار، فأنا شخصٌ مسالم لا أسعى للمعارك وألاحقها في عُقر دارها.

• معاركٌ؟ أيّة معارك؟ إنه النجاح، وتلك ضريبته، هل سمعت عن نجاح بلا حساد من قبل؟

• لكن!.. الشهرة ليست من ضمن طموحاتي

• يا عزيزي... هناك حقيقة عليك أن تعيها جيدًا.. المالُ يجلب الشهرةَ والشهرةُ تجلب المالَ.. كلاهما وجهانِ لنفس العملة؛ فإذا حصلتَ على وجه فلابد من حصولك على الآخر.. ثم.. أخبرني.. ماذا كنت تتوقع أن يحدث لك؟ ألم أخبرك مسبقًا أنك ستكون سيدًا في قومك؟

• بهذه السرعة؟

• وأكثر مما تتخيل... إنها فقط البداية يا عزيزي، هيا لنبدأ الآن، وكفاكَ مهاترات لا طائل منها، فالوقت منذ الآن محسوب عليك.. اصغِ إليّ جيدًا، ستقوم بفتح حسابك بأحد البنوك الخاصة في سويسرا والتي تتعامل مع عملائها من خلال شبكة الانترنت،

obeikandl.com

وتضمن لهم السرية الكاملة وحماية أرصدتهم، كما تعطي أعلى عوائد ربحية.

• سويسرا؟ وهل ستقبل بنوك سويسرا بمجهول الهُوية مثلي؟

•نعم، ستقومُ الآن وفوراً بإنشاء حسابك الإليكتروني على البنك الذي سأحدده لك وستنقل عليه جميع أرصدتك وكل ما ستحققه من أرباح في الأيام القليلة المقبلة، بشكل مؤقت سيقبَلون برقمك القومي لإثبات بياناتك حتى تقوم باسخراج جواز سفرك.

• جواز سفر؟ وهل سأسافر أيضًا؟

• بكلّ تأكيد، وفي أقرب وقت لإتمام الشئون القانونية بشأن حسابك المَصرفي هناك، بعدها سيقوم البنك بدوره بضمان ودائعك لديهم وتسهيل إقامة شركتك، والقيام بعمل دراسات الجدوى، واختيار الصفقات الناجحة وترشيحها لك لتختار منها ما يناسبك، كما سيقوم البنك بإدارة ثروتك التي لديهم أيضًا، ليس ذلك فحسب؛ بل سيقوم كذلك بتيسير حصولك على القروض الضخمة للتوسع في مشروعاتك بضمان ثرواتك التي لديهم.

• تتحدثين وكأنني أمتك الملايين.

* لن تستطيع إحصاء ثروتك عما قريب... المهم.. سيحفظ لك هذا البنك سرية حساباتك بعيدًا عن أعين منافسيك الذين سيقتلهم الفضول، وسيوفر لك دومًا مظهر الثراء الغامض الذي لا يُدرك مدَاه أحدٌ فيبدأون في نسج الأساطير حولك، وهذا مطلوبٌ في عالم المال، سيفيدك كل ذلك في مرحلةٍ أخرى لاحقة سنتحدث عنها في حينها.

ابتسم إبراهيم وقال لها مداعبًا :

• من تلك الفاتنة التي تزوجتها؟ أصابتني بشللٍ دماغي.. أنتِ حقًا مذهلة لابد وأنكِ تشغلين منصب وزير المالية في عالمكِ.

• ضحكت بدلالٍ وقالت مداعبةً له بشيء لا يخلو من الحقيقةِ..

بل في عالمك أنتَ.. هيا افتح حاسوبك الآن.. حالاً؛ فوقت رجال المال والأعمال باهظُ الثمن أيها الكسول.

قالت عباراتها الأخيرة وقد أتت له بحاسوبه ليصبح ماثلاً أمامه بلا شيء يستند عليه فصرخ فيها ضاحكًا من فرط الذهول فكل ما يدور بحياته يفوق خياله واستيعاب عقله وقال : أنتِ حقًا عفريتة ، هاي ڤولار.. لا تعتادي على مثل ذلك وإلا قال الناس عني مشعوذًا وربما انتهى بي الأمر في غياهب إحدى السجون..

ثم فتح حاسوبه وبدأ في تنفيذ تعليماتها وهو يحاور عقله :

يبدو أن الأمـر جاد وأنكَ قد أصبحت من رجـال المـال يـا إبـراهــيم..
ويبدو أنّك ستفقد فـراشك الوثـيـر كثـيـرا فـي الفتـرة المقبلة..

حدَّث نفـسه داخل رأسه فأجابته ڤولار لتثبت له أنها تــسمع أفكـاره
كنوعٍ من تـرويضه بدلالها الأنثوي قائلة :
نعم، نعم يا إبـراهــيم لقـد أصـبحت كـذلك بالفعـل وسـتفتقد ذلـك
الفـراش الذي كثـيـرا ما احتفظ بك بعـيدًا عن العالم والحـياة.

obeikandl.com

(١٦)

لم تمضِ إلا بضْع أسابيع حتى تمَّ كل شيء كما خطَّطت له ڤولار، وأصبح المقر الرئيسي والأول للشركة مُجهزًا بأفخر الأثاث والديكورات التي تتناسب مع الحي الراقي، والبناية الفخمة المطلة على شاطيء النهر حيث تقع الشركة.

السرعة التي سارت بها أحداث حياته الجديدة كانت فوق احتمال إدراكه، وكأنما تم اختطافه من حياة وإلقاءه في أخرى غيرها لاتماثلها في شيء قط، لذا لم يكن يستغرق الكثير من الوقت في التفكير، بل كان فقط ينفذ بدقة ما تمليه عليه ڤولار التي وضع بها كل ثقته وكل أحلامه وآماله أيضًا..
وما كان يدري أيّ جحيم ستُقْحمه فيه..

****

obeikandl.com

بـدأ العمـل فـي الشـركة علـى قـدمٍ وسـاق؛ وانهالـت العـروضُ والصفقات علـى إبـراهـيمَ مـن كبـرى الشـركات العالمـية وصـعدت أسـهمه بـسـرعة البـرق لـيطـيح بمنافسـيه بـلا هـوادة ويحتكـر الـسوق المحلـي، غـيـر مبالٍ بحجم الخـسائر التـي سـببها لمنافسـيه؛ فـلا رحمـة فـي عـالم المـال.. وكلـما أراد أن يهـادن منافسـيه بعقـد الصفقات التـي يتشـارك معهـم الأربـاح فـيها أثنتـه ڤولار عـن ذلـك بدعوى أن المال له قوانـينه التـي لا تحكمها العواطـف، وأنّ المـال لا يعـرف الوسطـية فهـو إن لم يكـن لـك كـان علـيك... حكمـة غـريبة نجحتْ ڤولار فـي زرعها داخله فبات لا يأسف لخـسائرهم أمامه، ولا يفكـر ولو لثوانٍ فـي كَمِّ البـيوت التـي خـربت، ولم يَعدْ لها عائلٌ مـن جـراء تلك الخـسائر الفادحة، دائمًا ما أوجـدت لـه المبـررات المقنعـة التـي يـرتاح لها ضمـيـره، ولكـي تُعود ڤولار لخطوتها التالـية التـي تعلمها وحدها كانت تحثه باستمـرار علـى تخصـيص قدرٍ كبـيـر مـن عائداته وأرباحـه للتبـرع للفقـراء وإعـالتهم ورعايـة الأيتـام وإيـواء المُحتاجـين وإطعام المـساكـين، وغـيـرها الكثـيـر والكثـيـر من الأعمال التـي بَدت لإبـراهـيم ومن سواه أنها أعمال البـر والخـيـر والتقـرب لله لنـيل رضاه وتوفـيقه وكسـب الثـواب، بـينما شـيطانة مثلهـا لهـا بالتأكـيد مآرِب أخـرى سَتـسفـرعنها الأيام؛ فمن المضحك أن نثق فـي شـيطان...

هـيأت كلُ تلك الأعمال الخـيـرية إبـراهـيمَ لتقبل المزيد من إيعازات ڤولار بضمـيـر هانـيء بمـا يفعلـه، كـما أكسـبته شهـرة كبـيـرة لـدى عامة المجتمـع، ولفتـت الانتبـاه إلـيه؛ فكثـرت الأحاديـث المتناقضـة بشأنه؛ فهو رجل الأعمال الشاب، البالغ الثـراء، يكـرس حـياته لعملـه فقط ولا يكفَّ عن أعمال الخـيـر والبـر، غَمـر كـرمه الفائق الفقـراء، وأوجد فـرص العمل لألآف الشباب، وفـي نفـس الوقت هو أيضًا ذلك الـرجل ذاته الذي كان سـببًا مباشـرا فـي دمـار بـيوت الكثـيـر مـن أباطـرة الـسوق، وتكبـيدهم أشد وأفدح الخـسائر، وهو كذلك حـوت شـركات الإلـيكتـرونـيات الذي ابتلع وحده أهم الصفقات التـي تمـت فـي جمـيع أنحاء الوطن العـربـي، الذي لايقف أمامه منافـس مهـما كان ثِقله فـي الـسوق، كل هذا جعل صورته فـي أذهان النـاس تبـدو كالشمـس التـي كما تحـرق من يقتـرب من وهجها، فهـي أيضًـا تهـب الضـياء، وتنشـر الدفء فـي بـرد الشتاء..
صورةٌ رغم بـساطتها معقدةٌ...

****

وكنتـيجة حتمـية لاحتكاكه بعالم المال والأعمال يأتـي احتكاكه بالقوى الـسـياسـية وذوي النفوذ فـي وطنه خاصةً، وفـي باقـي بلدان تواجـد شـركاته عامةً، حـيث ربطتـه بالكثـيـر مـنهم علاقـات الصـداقة ذات الطابع النفعـي، لا عجب فـي ذلك؛ فزواج المال والـسـياسة هـو زواج حتْمـي ومؤكدٌ وإن كان زواجًـا عـرفـيا متواريًـا عـن الأنظـار يصـعب

الاعتـراف بـه، وينكـره كـلا الطـرفـين، لأن لكلـيهما أسـبابه فـي التستر على تلك العلاقة الشائكة التي تتأرجح بين الشرعية والتحريم حسب مقتضيات المصالح وكيفية تسييرها.

ومن هنا اكتسب إبراهيم المزيد من قوة التواجد الراسخ في الأسواق المحلية والعالمية، وأصبح له دوره الذي لا يستهان به في تحريك مؤشرات الاقتصاد في دولته.

وبسرعةٍ لافتة أصبح محط أنظار القوىٰ السياسية وعلى رأس قائمة الشخصيات التي تمثل أهميةً ما لديهم، وأحد أبرز الأسماء اللامعة التي يترقّب الجميع خوضها لغمار السياسة في أي حين.

لابد وأن رجلاً كإبراهيم بكل ماهو عليه من الثراء والنجاح والذكاء والشهرة، بالإضافة إلى ما حظى به من وسامة وجاذبية ملحوظة وشخصية قوية حازمة- أن يصبح محط أنظار وإعجاب الكثيرات من بنات حواء، وخاصةً سيدات المجتمع اللامعات وبنات العائلات الكبرىٰ، اللاتي قد سعين إليه ولم تُكتب لمساعيهنّ النجاح في الوصول لقلبه المُوصد. ويبدو أن عُزوفَه عن الزواج وقد شارف على الأربعين قد أثار حوله الشكوك وساهم في نسج الحكايا والأساطير والاختلاقات اللامحدودة، والتي ذهبت لأبعد مدىٰ من التناقض، فبين ما أثير حول مُجونه وتعدد علاقاته النسائية هناك من ادَّعى شذوذه وعزوفه عن النساء، وهناك من ادعى تعدد

زيجاته السرية من ألمع نجمات المجتمع، بينما أعزى غيرهم أمر ثرائه الواسع وسطوة نفوذه لزواجه من ابنة أحد ملوك عالم المال في الخارج، وكل ما يستندون إليه في مثل تلك الأكاذيب التقاط بعض الصور له مع المشاهير في الحفلات العامة، تلك التربة الخصبة لنمو الشائعات واستفحالها، ولم يشغل باله قط بنفي شائعاتهم أو إثباتها، بل لم يعرها أي اهتمام..

حتى سكرتيرته الحسناء خريجة الجامعة الأمريكية ذات الملامح الأوروبية والقوام اللبناني، لم تستطع أن توقعه في حبائلها بكل هذا الجمال الصارخ والدلال الذي خُلقت به كجزء من ملامحها، ونما معها بشكل تلقائي، وبالطبع كان لها باعٌ في إشاعة الأقاويل عنه من باب الثأر لأنوثتها التي أهانها بالتجاهل..

كم ضحك في سره وهو يسمعها تُتمتم حانقَةً عليه لتجاهله لها عند مروره بمكتبها، مُلقيا تحية الصباح في اقْتضَابٍ و بدون اكتراث لها، وبدون أدنى اهتمام أو حتى نظرة ترضي بها غرورها الجريح.

وكم انفجر ضاحكًا ملء شدْقيه كلما استمع لأقاصيصهم وتلافيقهم من (كريم) مدير أعماله وصديقه المقرب وموضع ثقته الذي لايفارقه معظم يومه، والذي سعى بدوره لتزويجه، وافتعال مواقف تجمعه بتلك أو هذه، لكن لم تفلح مساعيه، وكان كلما فاتح

إبـراهـيم فـي هذا الأمـر يتهـرب منه إبـراهـيم بلباقة بقوله (لا وقت لدي إطلاقًا لدلال النـساء ولا أحتملهم)

مـساكـين هم، فلم يـروا تلك الفاتنة التـي تغـرقه فـي بحـور غـرامها بلا رحمة، وتغنـيه بعالمها الـساحـر عن نـساء العالمـين، وبغض النظـر عن كونها تأسـره عشقًا، وبغض النظـر كذلك عن تهديدات عشـيـرتها بإحـراقهما معًا إن تـركها أو خانها كما أخبـرته، فهو أيضًا يمنعه دافعـه الأخلاقـي النابع من داخله عن خـيانتها مع أخـرى، فهو يدين لها بكل ما آل إلـيه من المكانة الاجتماعـية والثـراء، فإلـيها وحدها فـي نظـره يعود الفضل فـي وجود (إبـراهـيم دياب) ذلك الاسـم البـراق الـذي قلَّ من لا يعـرفه فـي دنـيا المال والاقتصاد، وإن كانت تـراوده أحـيانًا بعض التـساؤلات البشـرية الفطـرية :
مـن سيـرث كـل هـذا الثـراء؟ ومـن سـيكمل هـذا النجـاح؟ ولكنّه سـرعان ما يطـرد تلك الأفكار ولا يجعلهـا تـتمكن مـن نفـسه؛ فـيجـيب نفـسه دائمًا بأن الإنـسان لا يمكنـه أن يحصـل علـى كـل مـا يـريد علـى هذه الأرض؛ وإلا فماذا ينتظـره فـي جنّة الخُلد؟!

كما أنه مؤمنٌ إيمانًا كاملاً أن الله قد سخـره لخدمة الفقـراء ، وجعلـه سببًا لأرزاق آلاف العاملـين فـي فـروع شـركاته عبـر العالم، وهو دائم الشكـر لله علـى تلك النعمة التـي حباه بها.

****

وفي الحقيقة كلما زادت عنه الأقاويل والشائعات زادت شهرته، وهو الأمر الذي لا يغضبه على الإطلاق، بل إنه كثيرا ما زلل له الصعاب، وفتح له المُغلق من الأبواب، فكم يسر له الحصول على القروض الضخمة من البنوك، وسيرت الصفقات وتيسرت إجراءاتها بسلاسة بسبب شائعة أطلقها أحدهم وذاعت في الأرجاء حول علاقته السرية وزواجه بإعلامية بارزة لها برنامج شهير من البرامج المثيرة للرأي العام، فَتّتِمٌّ صفقات إبراهيم خشية نفوذ تلك الإعلامية أن تفضح من يعرقل خطواته في برنامجها الشهير، مستندين إلى دفاع تلك الإعلامية عنه أمام أحد خصومه وانحيازها الغير مُبرر له في إحدى حلقات برنامجها...

ماكرةٌ ڤولار.. هيأت كل الأجواء لخدمته وتحقيق المكاسب لتصب جميعها في جعبتها.

obeikandl.com

(١٧)

اكتمل لـڤولار نحـت دُمـيتها كـما أرادت تمامًـا، ولم يتبـقَ لهـا إلا الزجّ بها فـي خضم معـركتها الحاسمة، التـي ستحصـد بهـا مـا سـعت إلـيه إن تمت وتحقق ذلك الهدف المقدس الـذي سـترتقـي بـه إلـى مكانة الحكام فـي عالمها وتنجو من مصـيـر مظلم داخل ياقوتة.

ستثبت ڤولار لمجلـس الحكماء وللملك أبنان ولوالدها الذي يظن أنهـا خذلته، أنها جديـرة بثقتهم، وبمـا تـريد الحصـول علـيه وأنهـا قـادرة علـى حماية ممالك الجان مـن طغـيان بنـي الإنـسان، وأنهـا قـادرة علـى جعل البشـر أجمعـين ينفـذون للشـياطـين مـآربهم.. بـل إنهـا قادرة علـى ماهو أبعد من ذلك.

ستجعل البشـر يدفعون ثمن اللعنة التـي لحقت بهم منذ خُلق أبوهم آدم.. لقـد دأبـت ڤولار علـى أن تـسقـي إبـراهـيم الشـر بمُلعقـة الخيـر، وأوجـدت دومًـا لـه المبـررات الأخلاقـية التـي تدفعـه بهـا للقضاء علـى خصـومه بضميـر مـستـريح، فتكبـيدهم الخـسائر لا بـأس بـه؛ فهكـذا يكـون الـسوق وهكـذا تكـون التجـارة تقـوم علـى المكسب والخـسارة، فـإن لم يكبـدهم الخـسائر كـيلوها لـه، كـما أن مكاسبه تفـيد الفقـراءَ وأصحاب الحاجة وأعمال الخيـر، أمـا خصـومه فماكسبهم ستكون لهم وحدهم ولن يصل للفقـراء منها شـيء، وبهـذا

يرضى ضمير إبراهيم ويستكين، بل يُطلق الأغاريد وهو يؤذي خصومه بدمٍ بارد.

****

اليوم... قام كريم بترتيب موعد هام لإبراهيم مع (د.أسعد الصفواني) ذلك الوزير الفاسد والمقرب من بُؤرة صنع القرار وهو يحتاج دومًا لدعمه؛ لتمرير صفقات من نوعٍ خاص، ذلك الدعم المدفوع الأجر مقدمًا وبالعملة الصعبة، والذي يتم تحويله في هدوء تام عبر حسابات الطرفين في بنوك سويسرا، ولكن إبراهيم دائمًا ما يُقنع نفسه أن هذا النوع من الرشاوى والإكراميات أو أيًّا كان مسماها، تنتفي حرمتها نظرا للمنفعة التي تُجلب من ورائها والتي يصل للفقراء نصيبهم منها.

وإن لقاء اليوم في تمام السابعة مساءًا سيكون له طابع خاص، فهو للاتفاق على دعمٍ من نوعٍ جديد، دعمٌ ستكون تكلفته أعلى بكثير من كل ماسبق، ذلك أنه سيسهل له الحصول على الحَصانة الدبلوماسية التي تُمنح من خلال انضمام صاحبها لعضوية البرلمان مُمثلاً عن الشعب كما هو مفترض، تلك العضوية من شأنها أن تفتح المغاليق من الأبواب، وبالطبع هذا له ثمنه الخاص الذي سيدفعه إبراهيم بكل ترحاب، وبلا أدنى مفاوضات؛ فلديه من المشاريع الضخمة التي يرى أنها ستخدم الفقراء وستوفر للكثيرين منهم فرص العمل ومصادر للدخل، و لن يتم هذا إلا من خلال حصوله على تلك المكانة التي تقربه من مراكز صُنع القرار.

(١٨)

في شقة فاخرة في الطابق السادس في إحدى البنايات ذات الموقع المتميز والمُطلة على ميدان هام في قلب العاصمة المكتظة بالصخب، والتي تُعد مقرا لكل الصفقات التي لها صفة الحصانة ضد القوانين ، ومن المثير للعجب أن بطل هذه الصفقات أحدُ أباطرة القانون (أ. د. أسعد الصفواني) داهية القانون الذي درسه حتى توحد معه وأصبح ينظر من داخله ليرى العالم من خلال ثقوبه لينْفُذَ من خلال تلك الثقوب إلى حيث أراد.

وكعادة إبراهيم دائمًا يصل في موعده المحدد، ويقود سيارته بنفسه عندما تكون المقابلات من هذا النوع، ربما احترامًا لقدسية الخطيئة التي هو مُقبلٌ عليها؛ فقد اعتاد أن يعطيها حقها من التبجيل؛ احترامًا لما تفعله في العقبات من تذليل....

يا له من مبدأ !

برعت ڤولار حقًا فيما صنعتْ به...

... ومع دقات الساعة الحائطية العتيقة ذات البندول مُعلنةً حلول السابعة مساءَ قرع إبراهيم الباب بالمطرقة النحاسية المعلقة عليه من الخارج، ليفتح الباب (د. أسعد) بنفسه فهو ينتهج ذات المنهج مع الخطايا القانونية... يهبها التوقير اللائق بها.

وبترحابه المعهود ذي الطابع المرح استقبل رجل الأعمال الواعد إبراهيمَ دياب الذي دلف وبصحبته علبة الشوكولا الأنيقة، تلك التي يعشقها د. أسعد، ليس فقط لطعمها الفاخر، وإنما لكون كل حبَّةٍ منها تُلف بعناية مع قطعة ذهبية خالصة من فئة الجنيه الذهبي... هدية أنيقة لا تُقدم إلا من رجلِ أنيق لتليق بما سيجنيه من المكاسب، وتعطي انطباعًا عن مدى سخائه.

• واااو.... (قالها د. أسعد مُعبرا عن إعجابه بذوقِ إبراهيم الراقي) ذوقك بالغُ الرقي إبراهيم بك، ليس فقط في اختيار نوعية الشوكولا، ولا قيمتها بالفعل، ولكن في الصندوق الكريستالي الفاخر المُبطن بالمخمل الأحمر الذي ترقُد فيه قطع الشوكولا في أناقة لتبدو كعلبة مجوهرات ثمينة، بل هي كذلك بالفعل.

• أووووه لا تقل هذا فضلاً د. أسعد ،إنها أقل بكثير من مقامكم الرفيع

((تعلّم إبراهيمُ من طول المراس في عالم المال والأعمال كيف ومتى يكون مجاملاً فوق العادة))

بادره د. أسعد:

• حدثني كريم أن هناك أمر هامٌ، مارأيك لو نتحدث ونحن نتناول معًا الطعام فأنا أتَضَور جوعًا وأنتظرتك لنأكل معًا، سنفترس اليوم عشاءَ متميزًا جدًا... ثق بي.

• قال إبراهيم ضاحكًا بصوت جهوري : أنا متأكدٌ من ذلك، ولكن ! ماذا أعددتَ لنا أيها الشيف العجوز؟

• لاااا، عليك ألا تسأل كثيرا في هذا الأمر، فعلى مائدتي تجتمع البلدان من أقصى الغرب إلى لبنان؛ فأنا ذوّاقة أحترف الأكل في كل مكان، أنتقي أصنافًا مُبدعةً، وأصمم مائدة تجتمع بها كل الألوان...

• هاهاهاهاها... وشاعر أيضًا يا د. أسعد؟

• فيما يخص الطعام... وعندما أتضور جوعًا فقط ينساب الشعر من بين شفتي وتخرج كلماتي كالألحان.

• يبدو أن الأمر شهيا حقًا، فكلماتك خرجت بالفعل كالألحان هاهاهاهاها.

obeikandl.com

•بالطبع، وأكثر من مجرد شهي، فلدينا على مائدة عشاء اليوم يجتمع قياصرة روسيا مع فرسان أوروبا وفاتنات الشرق ليضعوا أجمل ما لديهم جميعًا في متناول يديك وتحت إمرتك..

•يا للعجب!.. العالم على مائدتك اليوم إذن.

•بالطبع.. ها.. ما رأيك؟

لدينا حساء الحمام المصري لفتح الشهية، ثم بيف استراجانوف بحبات الفلفل الأسود والكريم صوص مُقدم مع الفيتوتشيني ألفريدو بالخضروات وكبد الإوز بالشامبنيون أما السلطات فإيطالية، والزيتون أسباني، والنبيذ فرنسي.. هذا الأخير لي أنا فأنا أعلم أنك لا تحتسي الخمور عصير البرتقال في انتظارك.

أما عن الحلوى فحدِّث ولا حرج؛ فلدينا من مصر العزيزة أم علي بالمكسرات، وحلويات شرقية من لبنان، وكريم كراميل إنجليزي، وجاتوه فرنسي، وسينابون سويدي... أرأيت؟ على مائدتي... العالم بين يديك...

ضحك إبراهيم مكملاً : والإسعاف من مصر بالطبع.

سارا معًا تسبقهما أصوات ضحكاتهما الصاخبة إلى مائدة الطعام بعد أن أذاب الحديث الودود الثلج المتراكم على مَدخلِ الحوار..

وعندما استقرت جلستهما على المائدة وأثناء تناولهما للطعام بادر د. أسعد بسؤالِ إبراهيمَ باهتمام وعيون ماكرة باسمة :

• ها.. ما الأمر؟ ماذا تشتهي هذه المرة يا إبراهيم؟ طلباتك أوامر.

• هههههههه ليس كثيرا ولا عسيرا مجرد كرسي.

• هذا أمر بسيط.. أعاج أم أبنوس؟ (يرمز العاج للحكومة والأبنوس للمعارضة)

• ماذا ترى؟ أيهما أفضل؟ أيهما يناسبني أكثر؟

• لا فرق كبير يا عزيزي فكلاهما مُطعّمٌ بالآخر، وكلاهما يناسبك بكل تأكيد. وإن كنتُ أرى العاج مُضطربًا بعض الشيء وتدب الشيخوخة في أوصاله، وأرجح لك الأبنوس وإن كنتُ أخشى عليك من عدم اتزانه أيضًا.. ولكن خذ بنصيحتي ولن تندم ابتعد عن العاج الآن..

• حسنًا... اتفقنا.. متى تقترح لنا أن نبدأ في التهيئة للأمر؟

• ضيق د. أسعد عينيه وصمت لبرهةٍ متفكرا ثم قال له بصوتٍ خافت : ثق بي وانتظر لبعض الوقت ولا تتعجل، صدقني الجو مُلبّدٌ بالغيوم والأمور تبدو ضبابية.. انتظر فقد تتغير الموازين كلها في الفترة القادمة لنحدد أيهما الأصلح.. العاج أم الأبنوس !

فالسياسة ليست كالمال.. في المال السرعة تحسم الأمر لك، بينما في السياسة التأني والحذر هما من يفعلان ذلك.

شعر إبراهيم ببعض الضيق حيث لم يعتدْ طول الانتظار، وليست تلك النتيجة العائمة هي ما جاء من أجلها الليلة، ولكنه شعر أن هناك خطبٌ جللٌ عليه أن يستكين استعدادًا له.

عاد إلى ڤولار مستشارته التي لا يثق في سواها وأخبرها بما تم بينه وبين د. أسعد ولم يفاجأ كثيرا بأنها تعلم ولكن ما فاجأه حقًا هو ما ألمحت له به إن ما ينتظره في الفترة المُقبلة أكبر بكثير من مجرد ذلك الكرسي المتواضع الذي كان يود السعي إليه، بينما رقصت من داخلها انتشاءًا بطموحه في الوصول إلى السلطة.

يااااه يا ڤولار... لقد نجحتي بحق ! لن يُحِدَّ طموحَ إبراهيم شيءٌ.. سينفذ ما أريد منه كما أريده تمامًا.

هكذا هنأت ڤولار نفسها وهي تستعد لإقحامه في المزيد والمزيد من المطامع والأخطار...

(١٩)

اقتربت لحظةُ الحسم، تلك اللحظة التي تنتظرها ڤولار، وهي تكاد لا تنام وإن نامت تستيقظ فزعةً تتراءى لها تلك الياقوتة المرصودة تتدلى أمام عينيها في تحدٍ مستفز، منذ أن أتاها مؤخرا إنذارُ الملك أبنان ملك ملوك الجان اشتعلت النيران داخلها ولم تخمدْ، حيث ذكرها بأن الوقت يمضي سريعًا ولم يتبقَ في مهلتها الكثير، كما سفَّه كثيرا من إنجازاتها المتواضعة جدًا حتى الآن، وتهكَّم عليها مهنئًا إياها بزواجها من شابٍ وسيم كإبراهيم وتيسير أعمال الخير له، وعبر لها عن استيائه بأن إنجازاتها لا تعدو كونها أفسدت قلب إنسي واحدٍ وضللت الفاصل في قلبه بين الحق والباطل، وهي مهمة يسيرة ينجزها طفلٌ عابث في مملكة الشياطين، وإنها اقترفت الكثير من المحاذير لتصل لتلك النتيجة المتواضعة، سجدت أمامه باكية متضرعة تتوسل إليه ألا يحكم على نجاحها الآن، وأخبرته بأنها قد أوشكت بالفعل أن تحقق مآربها، فلم يرقْ لها قلبه، بل نهرها وأمرها بالانصراف من مجلسه فورًا، وإلا هشَّم رأسها بطرف صولجانه، وأمر تلك الكوبرا القابعة بين يديه أن تلتف حول عنقها ولا تتركها إلا جثةً هامدة، مُقسمًا لها أن وعده لوالدها هو من يُفرغ عليه الصبر

حيالها، ولكن لذاك الصبر حدودًا ، وسينفدُ لا محالة، لذا عليها بالإسراع قبل أن تلتهمها الياقوتة لتقبع في الظلام إلى الأبد.

كلُ هذا الغضب الذي صبّه على مسامعها الملكُ أبنان ثَارَ وفار داخلها، فضاعفت من بثّ سمومها في نفس إبراهيم، وكعادتها تدسّ السم في العسل فيتناوله عن طيب خاطر ويسري فيه بهدوء ليهضمه فيتحول مع الوقت لجزء لا يتجزأ من نسيج أفكاره، فأخذت تحدثه عن العدالة في مملكتها وكيف أن عالم الإنس يفتقر لمثل تلك العدالة، مُشيرةً إلى جُور الحكام واستئثارهم بنعيم الدنيا ، والفقر والعوزِ والجوع والعري الذي يحيا فيه الفقراء ، و لولا أن عناية الله قد سخرت لهم أمثال إبراهيم لقتلهم الفقر والبؤس، ولا تنسى بين طيات حديثها أن تحمد فيه اختلافه عن هؤلاء الحكام ، وأنه مميز بقلبه العطوف عن باقي الأغنياء الذين تنعدم الرحمة في قلوبهم، وإنها كم تتمنى لو أنه يتولى زِمام الحكم في دولته لينصف المحتاجين والفقراء ويرفع الظلم عن المظلومين ويعيد الأمور لنِصَابِها ، وكان يستقبل حديثها بعين الأمنيات التي ينفقها البشر في الحديث ليس أكثر.

حدثته كثيرا عن الحرية في مملكتها، الحرية في كل شيء، في المعتقد والأفكار والتصرفات والاختيارات، ولكنها تلك الحرية المنضبطة بقواعد وقوانين يحترمها الجميع، فكل فردٍ في مملكتها حر مالم يضر، وكلٌّ منهم مسئول عن نفسه وما يعتقده وما

يختاره، لا يُجبر على شيء ولا يناله عقاب إلا إذا أتى من الأفعال ما يضر غيره من أفراد قبيلته أو مجتمعه، حينها فقط يُعاقب وتُنفذ فيه القوانين أيًّا كان مركزه ومكانته، وأنها هي ذاتها وهي الأميرة ابنه الملك العظيم قطربان كان سينالها العقاب لو اخترقت هذه القوانين وكانت ستُحرق إن هو رفضها ورفض زواجَه منها، فلن تحميها مكانتها ولا منزلة والدها من القانون، وأن هذا العقاب الذي كانت ستناله بسبب زواجها من إنسي ؛ وهذا يحرمها على رجال الجانّ إلى الأبد، كما أن رفض الإنسي لها يجلب لها ولقبيلتها ولجميع بنات جلدتها الخزي والعار، ثم تقارن له بدهاء بين موقف ممالك الجان من زواجهما وكيف تمَّ الاحتفاء بهما وبين الإنس ، مُذكرةً إياه بأنه لا يستطيع الإفصاح أبدًا عن حقيقة زواجه منها وإلا أتهم بالجنون وأحتجز في مشفى للأمراض العقلية وسُلب من كل أمواله وهيبته، فحُكم عليه بإخفاء أمر زواجه منها للأبد.

كان إبراهيم يستمع لها دومًا ، وتنساب أفكارها لتترسخ داخله دون أن يشعر، وكانت هي لا تكفَّ عن الوساوس، سواءَ في حديثها معه أو في اختراقها لأفكاره في صحوه ومنامه.

تكرر دومًا أفكارها بصيغ مختلفة وتحرص دومًا على ذم المسئولين والفاسدين في مجتمعه، الذين أضاعوا حقوق الناس وأهدروا كرامتهم، وكثيرا ما تتباكى وتنهمر دموعها ويرتجف

جسدها مُدّعيةً الحزن والحسرة البالغة على الفقراء وبؤسهم في هذا البلد، ورثاءَها لحالهم البائس الذي لا أمل من إصلاحه في ظل حكم هؤلاء الظلمة الفسدة، وتنتحب حتى تنتفض وترتمي بين أحضانه وهي تردِّد في استعطاف له:
ليتني أملك أن أنزع عنهم سلطانهم وأهبه لك يا حبيبي لتردَّ الحقَ لأهله.. ليتني أملك أن أكفْكف دموع البائسين المحزونين في عالمكم هذا !

فيشتعل الغضب داخله بصمتٍ ويلعنهم في نفسه ويقسم بأغلظ الأيمان أنه لو واتته الفرصة فلن يرحم منهم أحدًا وسيقدمهم فرائس للوحوش الضارية جزاءً وفاقًا لما أفسدوه في الأرض.

أمسك بطرف ذقنها بيده ورفع وجهها نحوه، ومسح دموعها وهو يعدها أن يبذل مافي وسعه لرفع هذا الظلم، وطلب معونتها لترشده إلى الطريق لذلك وسيبدأ من ساعته في التنفيذ؛ فلا شيء يعدل في نفسه أكثر من أن يرضي الله ويسعد قلبها الحزين، ولا شيء يسعده أكثر من إسعاد الفقراء ورسم بسمة الأمل على شفاههم، موضحًا لها أن قوانين عالم الإنس مختلفة وليس باليسير في عالم الإنس أن يصل أيّ إنسان بسهولة لسدَّة الحكم.

هـدأت نفــسها وغمــرتها الــسعادة، وهــي تــراه قـد ابتلـع الطعـم وبادرته قائلة :

• التغـييـر... إنه التغـييـر يا إبـراهـيم، لابـد مـن التغـييـر، يجـب أن تنتهـي تلك الأنظمة القمعـية الظالمة المــستبدة وتـذهب إلــى زوال، لـيحل محلها أمثالك من ذوي القلوب الطاهـرة والعقول المـستنيــرة، يجب أن يصل إلـى الحكم من يـستحق ذلك.

أتعـرف؟ الشباب الواعـي المثقف هم سبـيلك ومفاتحك للوصول إلـى ذلك، وأنت لـديك الكثيــر مـنهم فــي شــركاتك بكـل فــروعها فــي وطنكم العـربـي البائس هذا.

• الشباب فـي شـركاتـي؟ ماذا تعنـين؟ و كـيف؟ وضحــي لــي أكثــر مـا تـرمـين إلـيه يا ڤولار... كـيف يمكننـي بلوغ هذا التغـيـير بهؤلاء الشباب؟

• يا إبـراهـيم أنصت إلـي جـيدًا... إن شـباب شــركاتك فــي جمــيع أنحاء الوطن العـربـي، هم مـن فئـة الشـبابِ الواعــي ذوِي التعلــيم المتمـيز، كما أنهم يحتـرمونك وينظـرون إلـيك نظـرة ملْؤها التبجـيل والانبهار بذكائك ونجاحك، ويـرون فـيك مثلهم الأعلـى ويقتدون بـك فــي كـل شــيء حتــى أنهـم يقلـدون طــريقة حـديثك واختــيارك لملابـسك، ألم تلاحظ ذلك؟

• بلـى، لقد لاحظتُ ذلك فعلاً وسـررت به حقًا، فهذا يعكس حبهم لـي.

• نعم، إنهم يحبونك لأنك عطوف تعطي بسخاء ولأنك عادل وناجح أيضًا، إنهم يتمنون أن يصبحوا في مثل جزء بسيط من نجاحك وتميزك وعدالتك، وعليك أن تستغل محبتهم هذه لتقودهم وترشدهم إلى الخير؛ فلا تبخل عليهم بالخير.

• حسنًا، بالتأكيد لن أبخل ولكن كيف علي أن أبدأ في ذلك؟

• ما رأيك يا حبيبي أن تُعد لهم دورات تدريبية توعوية تساعدهم فيها على اكتشاف جوانب القوة والتميز لديهم، واكتشاف مواهبهم؛ فتبث فيهم الثقة في أنفسهم، وتمنحهم الرغبة الحقيقة في إحداث ذلك التغيير في مجتمعاتهم، وعندما تترسخ هذه القناعات داخلهم سيدركون بأنفسهم مدى ظلم حكامهم وجورهم ومدى المسئولية الملقاة على عاتقهم كشباب واعٍ، مثقف، متميز، قادر على إحداث التغيير في المجتمع، وعليك أيضًا أن تذكرهم بمسئوليتهم أمام الله، فهم يرَوْن المنكر ويمتلكون القوة لتغييره ولا يفعلون.

• حقيقةً، هذا صحيح ! لكن كم من الوقت والجهد أحتاج لفعل كل هذا؟

• صدقني يا إبراهيم لو التفَّ حولك هؤلاء الشباب لفعلت بهم المستحيل في عالمكم البائس هذا، ولغيرت بهم كل تلك الثوابت البالية، وفي زمنٍ قياسي أيضًا.

لقد رأيت بنفسك كيف يعيش الجانب الآخر من عالمكم، وكيف استطاع أن يحقق العدالة والحرية والديموقراطية، وكيف يحيون هناك حياة أكثر سعادة، وأكثر ترفًا ورفاهيةً، حياةً متقدمة تختلف كثيرا عن حياتكم هنا، هذا لأنهم سمحوا للعقول الشابة المستنيرة أن تقود المسيرة، ولم يتشبث كهولهم بالحكم، وهم يتآكلون بين براثن الشيخوخة.

لقد سافرت بنفسك إلى معظم البلدان، ورأيت الفارق الكبير بين ما وصلت إليه مجتمعاتهم من تقدم ورقي وبين ما تقفون عنده وترزَحون تحت وطأته من تأخر.

• نعم يا ڤولار، صدقتِ، إنه شيء مؤسف حقًا، لقد حملنا ذات يوم منارة العلم والحضارة للعالم أجمع ثم تهاوينا إلى قاعٍ سحيق بدى من المعجزات أن نخرج منه.. ولكنني أعدكِ أن أبدأ من فوري في محاولة الخروج إلى النور ، وأن أضع خطة مناسبة لبث الوعي والثقافة والحماس في نفوس هؤلاء الشباب، حتى وإن واصلتُ الليل بالنهار وسافرت إلى كل بقاع الأرض، حتى يتسنى لي لقاء أكبر عدد منهم ونشر الوعي بينهم.

• وأنا بدوري سأساعدكَ حتمًا في ذلك، المهمُ يا إبراهيم أن تحافظ على السرية حتى لا ينالك أذىً من هؤلاء الحكام الظلمة، ولا

تنس أنك بما تفعله تزلزل عروشهم التي بنوها بالقهر والفساد والظلم لمن تحت أقدامهم.

• معكِ كلُّ الحق، متى تحبين أن نبدأ؟

• الآن

•تزوجتُ جنية عفريتة، لا تعرف معنى التروي وهدوء التفكير.

• نعم ، أنتم تهدرون أعماركم في التروي والتفكير هذا الذي تحكي عنه.

•هيا إذن لنبدأ من توِّنا... الآن دون تأخير يا جنيتي ، سنُعِد معًا خطة عملٍ محكمة، ونبدأ في تنفيذها على الفور، لقد أشعلتِ الحماس داخلي لبذل أيّ شيء في سبيل محاولة التغيير تلك.

(٢٠)

أخذته ڤولار إلى حيث حاسوبه لتبدأ في تنفيذ أولى خطوات خطة النهاية لما سعت إليه مستغلةً ثورة الحماس التي نجحت في إشعالها داخل نفسه، وإمعانًا في زيادة اشتعاله أرشدته إلى مواقع ذات طابع سري خاص وفتحت أمامه المغاليق والمحاذير لتضعه أمام وثائق غاية في السرية والخطورة توضح له بها مدى الفساد والجوْر الذي غرق فيه هؤلاء الحكام إلى آذانهم وصفقاتهم المحرمة التي مصوا بها دماء شعوبهم ليتركوهم فريسة للفقر والمرض، بينما أضافوا هم إلى أرصدتهم مئات المليارات وأطنان الذهب والجواهر...

تساءل إبراهيم في دهشة وذهول من هول ما رآه من كم الفساد اللامحتمل واللامعقول..

• من أين لكِ بكل تلك المعلومات الكارثية يا ڤولار؟ كيف توصلتِ إليها؟ إنها تعود لعدة عقود من الزمن، كأنما يتوارثون الفساد فيما بينهم وكأنه يسري في عروقهم مسرى الدم، ويتداولون راياته بينهم جيلاً بعد جيل، وكأنه مملكة موصدة عليهم !!

• تعلم يا إبـراهـيم أنه بقدر مافـي مملكتـي من العـدل بقـدر أيضًـا مالـدينا أشـــرار ملاعـــين، شـــرهم مـستطيـــر، وخطـــرهم كبيـــر، يحاربون الأخـيار منا، ويؤذوننا بمـساعدتهم لأشـراركم والاتحاد معهـم ضد الجمـيع، وكلما عوقـب مـنهم فـــريق ظهـــر آخـــر، إنهـا الحـــرب الأبديـة يـا عزيـزي بـين الخيـــر والشـــر، ســيظل شـــرهم موجـودًا وسـيظل الأخـيار لهم بالمـرصاد، إنه قانون الحـياة..

• ومـاذا يضيـــركم فـــي ممالككـم مـن الشـــر الواقـع علـــينا فـــي مجتمعاتنا وعالمنا؟

• كـيف يا إبـراهـيم؟ ألـسنا نتشارك معكم ذات الكوكـب؟ ألا يؤذينـا ماتفعلونه من عبثٍ بالطبـيعة التـي خلقها الله لنا جمـيعًا؟

لقد قسّم الله الأرض بـيننا وبـينكم بالعـدل، لكـنهم يغيـــرون هـذه القسمة ويعبثون بها ويزينون لكم غزو أراضـينا؛ فنُضَارّ نحن ونختنق فـي أراضـينا وقد يموت منا الكثـيـر كذلك من جـراء ذلك، بـينما يقوم هؤلاء الشـياطـين العابثـين بإغـراء حكـامكم وفاسـديكم بكثـــرة المـال ودوام الجاه والـسلطان لتحقـيق مآربهم الشـريـرة.

• وماذا يـستفـيدون من ذلك؟

• إن لهم مصالح مشتـركة، فهـم حـينما يبـــسطون النفـوذ لأشـــراركم يزداد نفوذ مملكة الشـر التـي تحارب ممالك الخـيـر عندنا منذ الأزل،

وأنا، كما تعلم من ممالك الخير وقد ورثت رغمًا عني كابنة أحد أقوى ملوك الخير مهمة محاربتهم، وتخليص العالم من شرورهم، فإن حاربونا هم بأشراركم، نحاربهم نحن بأخياركم ونظل كذلك حتى يعلو صوت الحق وينتصر، ويعم الخير ويزدهر، وتكون كلمة الله هي العليا.

إن الحرب بين الخير والشر كما قلتُ لكَ سلفًا ستظل قائمة حتى ينتصر الخير يومًا ولعله يكون يومًا قريبًا، أتدري كم أريدك يا حبيبي أن تصبح من جند الخير على هذه الأرض!

• بالتأكيد سأفعل ما بوسعي يا ثولار، فالسعي ليعمَّ الخير والسلام والمحبة من دروب شُكر النعم، وأنا ولله الحمد قد حباني الله بالكثير منها وأنت أغلى هذه النعم، أتدرين ياحبيبتي؟

• ماذا؟

• بتُّ أشعر أن الله قد اختارني بزواجي منكِ لتلك المهمة بالتأكيد ، إذ كيف تكون زوجتي أميرة في ممالك الخير التي تحارب الشر في العالم، ولا أساندها في ذلك؟ أظن أن هذا دوري الذي وجب علي القيام به في هذه الحياة.

• عذرًا يا حبيبي مافكرت في ذلك عندما أحببتك ، أنا فقط أحببتك لأنك أنت من اختاره قلبي ، وما كنتُ أهدف أبدًا للزجِّ بك

في حروبنا، وسعيتُ كثيرا أن أبعدكَ عن تلك الحرب الضارية، واكتفيتُ بما تقوم به من خدمة الفقراء، ولكنْ رغمًا عني أقحمتكَ فيها عندما استفحل أمر هذا الفساد والجور، ووجدتُ أن كل ما نقوم به من الخير معًا لا يكفي للوقوف في وجه الظلم ولا يسدُّ حاجة الفقراء.

• ولكن يا عزيزتي! أخشى أن يكون الأمر ليس بالسهولة الممكنة، وأخشى ألا نستطيع الوصول لما نصْبو إليه.. أنتِ محقة في وجوب توخي الحذر قدر المستطاع، والإسراع كذلك في التنفيذ قبل أن يفسد الأشرار تخطيطنا للنيل منهم.

• نعم، يتوجب علينا ذلك. أما الآن فعليك أن تحتفظ على حاسوبك بنسخ من كل تلك الوثائق التي أمامك لأنك ستحتاج إليها لاحقًا في توعية الشباب الذين سيعينونك على تنفيذ مهمتك وتحقيق العدالة.

• سأتصل الآن بكريم، ليبدأ في إعداد خطة زمنية، وجدول لمحاضرات التوعية لهؤلاء الشباب.

• لكن ! احذر. لا تخبره إلا بالقدر الذي يسمح له بمعاونتك، حتى تتيقن تمامًا من إيمانه بقضيتك، ومساندتك فيها، وكن دومًا على حذر وأنت تخطو كل خطوة، لأنك تخطوها داخل عرين أسودٍ ضاريةٍ لا تعرفُ الرحمة.

فلتستدعِ كريمًا بدايةً وتخبره برغبتك في الاجتماع بالشباب الذين يلمس فيهم الذكاء، والرغبة في التغيير للأفضل، لأن لديك برنامجًا خاصًا لتدريبهم ومساعدتهم على اكتشاف ذواتهم وقدراتهم الخاصة ومواهبهم، حتى وإن كانت تلك المواهب بعيدة عن مجال عملهم، وذلك لوضع أقدامهم على بداية الطريق الصحيح لمستقبلهم الواعد.

• علي إذن أن أستعين بأساتذة التنمية البشرية لهذه المهمة.

• الأمر أبسط من ذلك بكثير ومحاضراتهم ومؤلفاتهم تملأ شبكة الإنترنت ويمكنني مساعدتك للاستفادة منها وتطويعها للغرض الذي ننشده.

المهم الآن أن يجهز كريم جدولاً للمحاضرات المبدئية في كافة البلدان التي بها فروع لشركاتك، وأن يُعلن عن مكافآت مجزية وترقيات ورحلات ترفيهية للمتفوقين في تلك الدورة التدريبية، ليزداد الإقبال عليها.. صدقني.. سيبهرك استقبال الشباب لأفكارك البناءة، ذلك لكونك تحترم فكرهم ولأنك ستعينهم على إخراج مواهبهم التي كثيرا ما أهملوها ولم يبحثوا عنها في خضم بحثهم عن الرزق، أو تعرضوا للسخرية ممن حولهم على تلك المواهب، فلطالما تشوّق هؤلاء الشباب لمن يستمع لهم ويحترم أفكارهم ويناقش آراءهم دون تهكم، ولا تنس أنك كنت يومًا مثلهم، عانيت

مثلما يعانون من عدم إيمان من حولهم بمواهبهم ومن عدم إيمانهم بأفكارهم، وحوربت عندما فاق نجاحك توقعات من حولك، لذا أنت أقدرُ من يفهمهم ويشعر بهم ويتواصل معهم، كما أن الجميع يتُوق لتَنسم أجواء الحرية والعدالة، الجميع يتمنى أن يعيش بكرامة دون أن تهدد مجتمعَه أشباحُ الفقر والجهل والمرض التي أغرقهم فيها حكامهم، ولكن!.. دعني أكرر لك تحذيري فالمعلومات التي بين يديك بالغة الخطورة، ويجب أن تسقيهم منها بحذر قطرةً قطرةً وبالقدر الذي يحقق أكبر النفع، ولا تنس أنهم شباب وحماسهم دومًا فائر ثائر يكاد أن يقفز من بين جوانحهم.

• هيا إذن لنعد البرنامَج قبل أن أستدعي كريم لبدء التنفيذ.

• هيا.. سأعينك دومًا وستنجزه سريعًا.. سنبدأ الآن.

وهكذا.. ستسري سموم الشيطانة ڤولار في عقول الملايين وقلوبهم حتى لا يسخر منها الملك أبنان بأنها لم تفلح إلا في إغواء إنسي بائسٍ وحيد، ستريه أخيرا من هي ڤولار وإلى أي مدى تصل قدراتها ويستطير شررها...

(٢١)

اشتعل الحماس حقًا في قلب إبراهيم وانصاع لإغواء ڤولار وبدأ بالإعداد لبرنَامجه التوعوي للشباب، وهي تعينه بكل ما أوتيت من قوة وتمدُّه بكل ما يحتاج إليه حتى يصل إلى هؤلاء الشباب؛ لتصنع منهم سلاحًا فتَّاكًا، فنظمتْ كلَّ شيء كما يجب وبطريقتها البارعة في لَبس الحق بالباطل والتضليل والتدليس وتزييف الحقائق وتزيين الضلال وإلباسه ثياب الحق، أصبح البرنامج مُعدًا في زمن قياسي لإعداد جيش من الشباب بكل ما يحملونه بين جوانحهم من ثورة وحماسة لم تُطفيء نيرانها الخبرة والحكمة بعدُ؛ وهذا كل ما تحتاجه ڤولار (ثورة بلا حكمة) تثير بها الفوضى العارمة في كافة الأرجاء، وتربكُ القادة وتشلُّ تفكيرهم، ثم... !! كل ما ستؤدي إليه من خرابٍ وارتباك ستجيد ڤولار الاستفادة منه، واستغلاله لصالح مملكتها كما يجب لتصل لما تصبو إليه، وإن كانت إراقة الدماء ليست هدفها في تلك المرحلة ولكن لا بأس إن أتت فهي تجلب غيرها متى سُفكت، وهذا يسعد قومها ويرضيهم عنها ويعَزّز موقفها بينهم.

.. وبعد أن اكتمل إعداد البرنامج بدأ إبراهيم فورًا في تنفيذه بمساعدة كريم الذي آمن بأفكار إبراهيم وتسللت إلى نفسه سموم ڤولار أيضًا في سلاسة ويسر لشدة بريقها وارتدائها ثياب الفضيلة؛ فقام بدوره بوضع خطة دراسية ممنهجة وشديدة التنظيم تضمن حصول أكبر عدد من الشباب على إعداد جيد وسريع، ولمزيد من جذب الشباب أعدَّ هذه الدورات على هيئة منحٍ دراسية يتم تدريسها بالخارج في فروع الشركة عبر العالم، أي أنها دراسة وسياحة، فوفر لهم السفر والإقامة في الفنادق الفخمة والتنقلات بالإضافة إلى المكافآت المُجزية للمتفوقين منهم.

كان لهذا مزايا خفية أخرى عديدة، كإبعاد المتدربين عن أعين حكوماتهم بشكل طبيعي وغير مثير للشبهات، وانتزاعهم من قلب مجتمعاتهم البائسة وإطلاعهم على مجتمعات أخرى فاقتهم تطورًا بمراحل كثيرة، ليثير ذلك انبهارهم، ويشتعل إحساسهم بالحسرة والغيرة على بلدانهم وتتولد رغبتهم الصادقة في تغيير مجتمعاتهم؛ لتصبح مثل تلك المجتمعات وتلحق بركب الحضارة والتقدم.

وبالفعل.. تحقق الهدف وانجذب عددٌ كبير جدًا من الشباب للالتحاق بتلك الدورات التدريبية بشكل فاق توقعات إبراهيم، وربما توقعات ڤولار أيضًا.. فلكم فاقت أطماع البشر طموح الشياطين!

سار العمل على قدم وساق وأصبح لدى إبراهيم وڤولار جيشٌ لا يستهان به من طاقات الشباب التي تتأهب للانقضاض على حكامهم وحكوماتهم بلا رحمة، بل وافتراسهم بكل غضب، وتنفيذ ما أعدَّت له ڤولار بدقةٍ بالغة..

والآن... قد حانت ساعة الصفر.

obeikandl.com

obeikandl.com

(٢٢)

ساهمتِ الوثائقُ التي أوجدتها ڤولار بالفعل والتي لا يعلم مدىٰ صحتها من زيفها إلا الله وحده، في اندلاع ثورة الشباب العارمة في كل الميادين مُطالبين الحكام بالحرية والعدالة والكرامة وتوفير أبسط حقوق الإنسان لشعوبهم البائسة.

رابط الشباب في الميادين ليلَ نهارَ، ونفذوا بدقة كلَ ما تدربوا عليه في صمودٍ، وتحدٍ، وعصيان، وتمرد، وإصرار على موقفهم موحدين كلمتهم لايحيدون عنها ولا يستمعون لغيرها.

ليس ذلك فحسب، بل انضم إليهم أهاليهم، ورفاقُهم وكل من آمن بفكرتهم وتفاعل معهم، فتضاعفت أعدادهم وفاقت كلَ التوقعات، حتى عجَّت بهم الميادين في كافة أنحاء البلاد مما زاد من حماستهم وإصرارهم على تحدي الأنظمة الحاكمة، وازداد صمودهم، وارتفعت أصواتهم بمطالبهم، وبلغت ثقتهم بأنفسهم عنان السماء.

لم تكنْ ڤولار هي الشيطانة الوحيدة التي دبرت وخططت؛ فقد كان لها منافسين وأعوان، وكل الأطراف أدْلتْ بدَلوِها في إذْكَاء

نيران الفتنة التي تأججت، فلهم هدفٌ مشترك يجمعهم في هذا الميدان، وقد صَدقَهَا كبير الحكماء في وعده لها بالدعم الكامل لشرورها فجندهم جميعًا لخدمتها وتنفيذ ما أعدَّت له، وإن كانوا قد تركوا لها مهمة الإعداد لإطلاق الشرارة الأولى لأنه يُشهد لها بحسن تدبيرها، وحسن اختيار أدواتها من جهة ومن جهة أخرى تنفيذًا لأوامر الملك أبنان الذي رفض أن يعينها أحدٌ حتى تنجح في إشعال النيران.

باتت تراودها الأحلام والأمنيات بإسقاط تلك الدولة الصنْديدة العَفية العتية الأبية، التي سيدوِّي سقوطها حتمًا وستتوالى البلدان في السقوط بعدها بكل يسر وسهولة وحينئذٍ سيمهد الطريق لسيطرة مملكة الشياطين ومدِّ نفوذها، و لن يقف أمامها شيءٌ بعد ذلك، المهم أن تسقط بدايةً تلك الدولة العصية وتتحطم تلك الصخرة الجَلْمود ليهدر بعدها سيل الهزائم وتغرق الأرض في الدماء لترقص حينها مملكة الشياطين طربًا واحتفالاً بتنصيب الشيطان الفائز مَلكًا جديدًا من ملوك الجان ويشربون نخب تنصيبه من الدماء المراقة من بني الإنسان، وعندئذٍ تنفث النفاثات في العقد، ليتشرد من ظلَّ من البشر، وتشتعل الحروب في البدو والحضر، فتأكل الأخضر واليابس فلا تبقي ولا تذر...

ولأن الدماء إذا سالتْ على الأرض فإنها تستدعي غيرها، وتجري أنهارًا، لذا فلا سبيل إلا إراقتها والتدليس في إلصاق تهمتها لرجال

النظام القائم فيزداد الاشتعال؛ ليصبح إخماد نيران الغضب أمرا مُحالًا، وبناءً على ذلك فقد قام أعوان ڤولار بوضع خطط تكميلية لخطتها الشيطانية، ودرّبوا أتباعهم عليها وأتوا بهم من كل البلاد، وحشدوهم في انتظار الميعاد.

فعندما ارتفعت التظاهرات ضد النظام قام جزءٌ من خُدَّام الشياطين باعتلاء أسطح البنايات، وتصويب أسلحتهم صوب الشباب الثائر ليسقط منهم القتلى فيلتهب الصراع وتزداد حدته، وتشيرأصابع الاتهام للنظام، فيزداد الإصرار والعناد وترتفع الأصوات مُطالبة بالقصاص، بينما شِقٌ آخر من أعوان ڤولار يسخر أجهزة الإعلام لخدمتها ولنقل الصورة المضللة التي أرادتها ونشرها في الأرجاء بأن النظام يقتل شعبه، أما باقي الأعوان فاتجهوا لهدم مؤسسات الدولة بإمعان، فأشعلوا النيران في كل مكان، ويسروا خروج العتاة في الإجرام من سجونهم، ليتموا مهام الخراب ويُمْعنوا في الانتقام من هذا النظام الذي قيد حريتهم وألقاهم لسنواتٍ في غياهب السجون..

ومع انتشار الفوضى في كل مكان ستخرج كل الأمور عن السيطرة، وتعيث الشياطينُ فسادًا في الأرض ومن عليها.

****

إبـراهـيم يبكـي الآن بحـرقة، لا بل يَنْتحـب لـدماء الشـباب الطاهــر الذي تولـى بنفـسه تدريبهم لـيساندوه ضد دولة الظلـم والطغــيان، إبـراهـيم يـراوده الشعور بالندم والذنب لأنه زجّ بهؤلاء الشباب فــي تلك الحـرب القذرة، لكن ڤولار تهدئه دومًا كعادتها وتُخـدِّر ضميــره بكلماتها ليكمل المهمة التـي بدأها.. وهذا دأبهـا دومًـا رَبَتـتْ علــى كتِفه مواسـيةً له بقولها :

• لا بأس يا حبـيبـي.. إنه المَخاضُ يـا إبـراهــيم ، الحــرية تولـد الآن ، ولابد للمخاض من آلامٍ؛ فالمولود غالٍ ومغلفٌ بالدماء.

• لكن الموت قاسٍ جدًا يا ڤولار، إنهم لم يجنوا بعد ثمار نجاحهم، لقـد دفعوا الثمن ولم يتذوقوا ما دفعوا ثمنه حـياتهم وزهـرة شبابهم.

• لا تحزن يا إبـراهـيم.. إنهم شـهداء، مـاتوا لـيعـيش الحق مــرفوع الــرأس مُعطــرا بـدمائهم الزكــية، مـاتوا لتنتصــر الحــرية والإرادة الشعبـية، ماتوا لـيحـيا الفقـراء بعزة و كـرامة وإنـسانـية.

• يَتلعْثم إبـراهـيم ويفقـد الـسيطــرة علــى دموعـه حُزنًـا علــيهم.. يصـرخ غاضبًا : الموتُ للظالم، المجدُ للشهداء...

يـركع باكـيا جاثـيا علـى ركبتـيه.. ينهض ثائرًا.. يجـري بلا وعــي نحـو المـيدان.. يلتف حوله الشباب الثائر وهو يصـيح باكـيا:

الموتُ للظالم... المجدُ للشهداء..

تزداد حماسة الشباب اشتعالاً بوجود إبراهيم بين صفوفهم وهتافاته معهم؛ فيرتفع صوتهم بصيحات الثورة ينادون بإسقاط النظام، وهكذا بلغ سقف مطالبهم مداه..

فما عادوا يطالبون بحريةٍ ولا عدلٍ ولا مساواة، ولا عاد الخُبز يعنيهم ، ولا القصاص يكفيهم، لا شيء الآن سيرضيهم سوى إسقاط النظام

وهكذا.. عمّت الفوضى العارمة أنحاء البلاد، وانفرط العِقد، وبات من المستحيل جمع حباته ونظمها من جديد، فأعوان ثولار ومنافسيها أيضًا اتحدوا مع اختلاف مآربهم وأطماعهم ومشاربهم، وحرك كلٌّ فريقٍ منهم معاونيه لإشعال الحرائق وسفك الدماء وتبديد كل ماحفظه التاريخ من علوم وفنون ومعارف؛ فأحرقت الكتب والمراجع والوثائق، وسرقت الآثار من المتاحف، ونُهبت الأموالُ من المصارف، وأقتحمت المتاجر لنهب كل ما فيها من الغث والثمين.. بدءًا من الذهب والجواهر وحتى قُتات الطعام، حتى البغايا والقوّادين وجدوا لهم مكانةً ومنفعة فيما يحدث وسطروا لأنفسهم بطولات مزعومة بتلافيقهم ليتقبلهم المجمتع الذي لطالما احتقرهم من قبل، والتبس على الناس الحق والباطل حيث أرغى الباطل وأزبد وعمّ أرجاء البلاد وجثم على صدور العباد، وخفت صوت الحق ولم يجد من يستمع إليه، أو يدافع عنه؛ فما كان من السلطة الحاكمة إلا أن تتقهقر

obeikandl.com

وتنحني أمام الرياح العاتية التي عصفت بكل شيء، حتى الأعراف والثوابت وحتى الأديان والعقائد، وبدا الأمر كأن أبواب مملكة الشياطين قد فُتحت جميعها في آنٍ واحد، لينهال الشياطين على البشر من كل جانب، فلا يُترك لهم مجالٌ للنجاة من بين براثنهم، ويتزعزع أمنهم وسلامهم حتى بين جدران منازلهم.

وبهذا الحال الذي بات فيه الهدوء أمرا مُحالا... ماكان من رجال الشرطة والجنود إلا الانسحاب، والتراجع أمام جحافل الشباب الثائر بعد أن اندسّ بينهم من اندس من خُدام الشياطين.. فكان هذا الانسحاب هو السبيل الآمن لحقن دماء الشباب وتهدئة الأجواء المشتعلة، وحتى لا يُلصق بهم المزيد من الاتهامات الباطلة.

وأمام هذا الانسحاب تمادى خُدام الشياطين في تبجحهم، واستكملوا مسيرتهم في هدم صروح الدولة، بل وقتل من يعترضهم من الضباط والجنود والتمثيل بجثثهم تحت مسمى الثأر للشهداء والانتقام من الجبابرة والخلاص من أذيال النظام الذي أذاقهم ألوان القمع والفساد ، وكل ذلك تحت مسميات براقة توحي بتبني قضية وطنية وأخلاقية وتوجد بذاتها تبريرات كافية لسفك دماء الجنود واستباحتها وهدم مؤسسات الدولة بضمائر مستريحة ونفوس راضية تستشعر البطولة فيما تُقدم عليه من جرائم..

وأمام هذا الطوفان الهادر ماكان من قيادات الجيش إلا الانحناء لتلك الرياح العاتية حتى تمر بسلام وبأقل خسائر، فوقف الجنود بالأسلحة والدبابات في الشوارع والميادين لحماية المواطنين من العبث بأرواحهم من قبل أعوان الشياطين.

كما أعلن الجيش انحيازه لصفوف الثوار وإيمانه بأحقيتهم في مطالبهم المشروعة؛ فقام بتنحية النظام الحاكم، ليخفف تلك الحدة، ويحقق نوعًا من الهدنة لإلتقاط الأنفاس، وحتى تتوقف نيران الخراب في كل مكان وتستجمع الدولة قُواها المبعثرة لتنهض مرة أخرى.

****

.. وبهذا انتهت الجولة الأولى لصالح ڤولار، أو كما بدا لإبراهيم والشباب أنها لصالح الثوار الذين تمكنت منهم الثقة بأنفسهم ورفضوا كلَّ رأي يثنيهم عن استبدادهم برأيهم ورعونتهم، التي أطاحت بالدولة، وتركتها لقمةً سائغة يستعد أعداؤها للانقضاض عليها بمخالبهم وأنيابهم.

نعم، في تلك اللحظة... توقف المنطق وسيطر الحماس والعقل الجمعي على الموقف...

****

حينذاك... أرسل الملك أبنان تهانيه لڤولار وأثنى على حسن تدبيرها وأبدى إعجابه بإتقان تخطيطها، وحسن إدارتها للمعركة، وما وصلت إليه من نتائج، كما دفعها للمُضي قُدمًا فيما تفعله بعبارات حماسية لا تخلو من التلويح لها بأن أمر الياقوتة المرصودة مازال قائمًا لو فشلت فيما هو آت، فأفقدها تحذيره المتواري بين طيات التهنئة والثناء، لذة الشعور بالانتصار وقتل فيها الغرور والزهو بما وصلت إليه؛ فجالت وصالت كالمسعورة لتكمل هذا النجاح الذي ملأها تيهًا فوق تيهها؛ فبدأت من توِّها للإعداد للخطوة التالية...

obeikandl.com

(٢٤)

كانت ڤولار من الذكاء الذي يجعلها لا تعول كثيرا على إبراهيم وأتباعه من الشباب وحدهم في المرحلة اللاحقة، فهي تحتاج لمن لا يحمل قلبًا كقلبِ إبراهيم، ومن هو أكثر شراسةً وأقل ضميرا، تحتاج لمن لا يردعه رادع لتنفيذ ما توعز له به ڤولار دون أن تغلف إيعازاتها برداء الخير والصلاح..

تريد تلك الفئة من الأشرار الذين يتناولون الشر بلا مُقبلات وبلا مُحسنات مذاق، مع الاحتفاظ أيضًا بالسيطرة على إبراهيم وأتباعه من الشباب بنفس الأسلوب الذي أتقنته وأتى لها منه بأفضل الثمار، فإبراهيم ومن معه يحبون أن يرتدوا ثياب الفضيلة، وألا تشوب أفعالهم نقائص الرذيلة، وهي تحتاج لهم لأنهم يعتنقون تمامًا ما يعتقدون من أفكار، ويؤمنون أنهم كالأنبياء لديهم رسالة، فيحاربون من أجلها بكل بسالة...

وكل هذا يفيد في تضليل العامة من البسطاء وبهم يلتبس الحق بالباطل لدى الجهلاء، ودونما جهدٍ أو عناء يبرعون في تجنيد غيرهم من أنصاف الأذكياء الذين يدعون الثقافة ويتوارون خلف غلاف كتاب لأحد السفاسطة، يرددون عباراتهم التي تبدو وكأنها

نابعة من عمق محيط التجارب والحكمة ولكنها في حقيقتها، لم تبلل حتى أطراف أصابع أقدامها من بحور المعرفة... عبارات جوفاء لكنها تُحدث ضجة، تمامًا كالطبول..

إذن هؤلاء مفروغ من أمرهم، وُضعوا على أول طريقهم وسيكملون، أما الجانب الآخر الذي ستحتاجه الآن ڤولار؛ فأولئك المتاجرون بالدين والدماء والمتحدثون باسم إلٰه السماء، وكأنهم المفوضون منه على هذه الأرض بإدارة شئون العباد.

هؤلاء الفئة الضالة هم الآن حقًا ضالتها المنْشُودة، فهم يتُوقون إلى السلطة كيفما تكون وكل أمر عندهم في سبيل حصولهم عليها يهون، وما إدعاءَهم أنهم حماة الفضيلة إلا لكونهم يسعون دومًا أن يكون لهم أتباع وأذيال، لذا تشبثوا بأن تظل صورتهم في نظر السذج من العامة أنهم يملكون أسرار الطريق إلى الله ومفاتيح جنة الخلد.

لقد أصابت ڤولار باختيارها لهم الهدف، وسيفيدها كثيرا ما لديهم من أتباع، فأتباعهم يمتازون بالسمع والطاعة، والبعد عن الجدل والمراوغة، فهم كالأوعية الفارغة التي تسكب فيها الأفكار والمعتقدات سكبًا، فيرددونها كالأبواق التي لا تعي ما يخرج منها، ومن عجبٍ أنهم يتوغلون في كافة مؤسسات الدولة كأذرع الأخطبوط، وينصهرون في المجتمع كما يذوب الملح في الطعام

فيصعب اجْتثَاثهم، وليس من سبيل لاجتنابهم، كل تلك المميزات أهلتهم ليقع عليهم اختيار ثولار وأعوانها، فأي شيء سيحتاجون فوق ذلك؟ أجساد بشرية الهيئة بعقول خاوية وقلوبٍ أعماها ظمأها للسلطة والنفوذ، التي لطالما تم إقصاؤهم عنها فزاد شوقهم إليها..

تلك الأجساد البشرية ذات العقول الخاوية، التي لا يحميها وعي ولا ينير عتْمة قلوبها صدقُ الإيمان هي ما تحتاجه ثولار لتسكن فيها شياطينها وتجوس بهم البلاد عابرة بهم إلى ما تريد..

وبالفعل تمَّ لها ما أرادت، واستطاعت أن تحشد حشودها، وأتت بهؤلاء الأوغاد ونشرتهم في أرجاء البلاد وحول حدودها، وسلطتهم على رقاب العباد، فأشعلوا النيران، وأهلكوا البلدان، هتكوا الأعراض ويتموا الأولاد وأسقطوا الممالك، ففاقوا التتار بشاعةً وهمجيةً، واستحالت المدن إلى خرائب؛ فهيأوا الأمر بين يدي ثولار وجندها لتعبث كما شاءت بمصائر البشر بلا رحمة، تُغرق من تُغرق وتُحرق من تحرق، وتهدر الأموال وتزهق الأرواح، وتربك الحكومات والقادة وتستنزف الجيوش وتُنهك القوى؛ وتصبح البلاد لقمة سائغة يلوكها أعداؤها وتتمزق كل ممزق فيتيسر لها ولأعوانها السيادة.

****

وإبـراهـيم تغـيـرت حـياته كلـيةً ، فقد زجَّـت بـه ڤولار إلـى سـاحة صـراعٍ لا رجعة منها، وتـركته مـع الشـباب الثـائر لـيكمل مـسيـرته؛ فقـد أصـبح لهـم بمثابـة الأب الـروحـي ، اسـتولت قضـية العـدل والكـرامة والحـرية علـى كـيانه وكـيانهم وتوحـدوا معهـا؛ فبـاتوا يشعـرون أنهـم حُـماة العدالـة ومنبـرها، وجنـود الحـرية وسـيوف الحق... لا بأس فكل هذا وذاك سيثـري الصـراع الـذي انفجـر ولـن يهدأ أو يـستكـين.

رعاة الحـرية والفكـر من جهة ورُعاة الدين من جهة، وسافكو الـدماء سـيوفهم مـسلطة علـى رقـاب الجمـيع مـن جهـة أخـرى ، والأعـداء والطامعون من باقـي الجهات... وهكـذا يتمـزق الثـوب إربـًا إربـًا ولا يـستطـيع أحدٌ ارتداءه.

(٢٥)

هاهـي ڤولار بعد أن نجحت خطتها، واشتعلت بـين العباد نـيـران فتنتها، باتت علـى مشارف أن تمـسك بمقالـيد الحُكم، وتعتلـي عـرش المُلـك فـي ممالـك الجـان؛ فـأبواب المجـد تكـاد أن تُفـتح لهـا علـى مصـراعـيها لتتوج ملكةً شـيطانة ذات حكمٍ ورأي نافذ وقـيادة، وكلما اقتـربت من عـرش مُلكها المـروم كلما ابتعدت عـن الـياقوتة فتـزول عن نفـسها الهموم..

تـراودها الأمنـيات فتكاد تـرىٰ أحلامها تتحقـق... وهـي تـرىٰ أشـلاء البشـر متناثـرة علـى وجـه البـسـيطة بـسبب المـذابح التـي نفـذها أعوانها بدقة متناهـية وتتزايد يومًا بعد يوم..

تكاد تـراهم يتنازعون حتـى علـى شـربة الماء..

تكاد تـرىٰ ممالكهم، وأوطانهم وقد مُزقت كالثوب البَالـي، وتناثـرت أشلاؤها، ومملكتها تبـسط نفوذها فـي كل الأرجاء بلا منازع...

****

obeikandi.com

علـيها الآن أن تكثـف جهودهـا وتطـرق علـى الحديـد وهـو سـاخنٌ لتشكله كـيفما تـريد، فتـستفـيد مـن تلـك الثـورة التـي تتـأجج فـي نفـس إبـراهـيم لتفور بها دماء الشباب، لذا فهـي لن تتـرك فـرصةً إلا وتحـينتها لتبث سـمومها فـي نفـسه ويبـث أعوانهـا سـمومهم فـي نفوس الشباب فـيجتمعون علـى هـدف واحـد لا يـرون سـواه، وهـو الالتفاف حول إبـراهـيم (أيْقونتها الأثـيـرة) لتنصـيبه زعـيمًا وبطـلاً قومـيا لتصل من خلاله إلـى ما تـريد من النصـر والأمجاد...

****

فـي لـيلة فقدتْ مذاقَها كباقـي لـيالـي إبـراهـيم منذ أن كبلته هموم الثورة وتجـرع دمـاء ضـحاياها.. وقـف إبـراهـيم ينظـر مـن نافـذة مكتبه المُطلة علـى مـسبح ڤيلته التـي يعـيش فـيها مع ڤولار وقطتـه العجوز الواهنة موكا التـي رافقته سنوات شقائه وأغـدقتْ علـيه مـن حنانها، فانتقلت معـه إلـى هنـا لتشـاركه أيضًـا سـنوات هنائـه، وقـد استغـرقه التفكـيـر فـيما آل إلـيه حال الوطن..

هل هذا الذي آل إلـيه ما كان يُنشده ويتمناه؟

وهل تنْقَشع غمَّةُ الدماء التـي تـراق كل يـوم لتشـرق شمـس هـذا الوطن من جديد مزينة بالحـرية والعدالة الإجتماعـية والكـرامة لهـذا الشعب البائس؟

أخذ يحدث نفسه عن مدى حبه وارتباطه بهؤلاء الشباب منذ أن اختلط بهم وامتزجت أحلامه بأحلامهم يرى فيهم عنفوانه ، ويشعر بأبوته لهم ومسئوليته نحوهم، وهو الذي ظل لسنوات لا يخالط البشر إلا في أضيق نطاق ولما تقتضي إليه الحاجة فقط.

حتى في هذه الغيلا الفاخرة التي يعيش فيها منذ أن أصبح من الأثرياء، لم يكن لديه من الخدم إلا ذلك الخادم العجوز الذي يعتني بالحديقة ويشتري له بعضَ الأغراض من السوق، وزوجته تنظف البيت بين الحين والآخر، ويقيمان في جناح خاص قرب مدخل الغيلا، فما كان بحاجة للخدم من الإنس إذ كان لديه الكثير منهم من الجانّ، كما أن تلك الفئة الثرثارة بطبيعتها كان من الممكن أن تنشر بين الناس أنه ممسوسٌ أو مجنونٌ إذا استمعوا لأحاديثه مع غولار.

دخلت غولار عليه غرفة مكتبه المظلمة، وهو شارد في أفكاره، تتودد إليه كعادتها بحنانها الزائف، لتموء موكا المسكينة فزعةً كلما رأتها وشعرت بوجودها، فتنسل خارجة من مكان تواجدها تاركة إياه لها.

كان إبراهيم عندما تزدحم الأفكار داخله ويفتك الصداع برأسه، يجلس في مكتبه مغلقًا كل الأنوار ومكتفيا بالخافت منها المتسلل إليه عبر زجاج النوافذ.

احتضنته غولار ومسحت على شعره في حنان وهمست له:

• إبـراهـيم حبـيبـي.. إننـي أتمزق وأنا أراك علـى هـذه الحـال.. لقـد شـحب لونـك وفقـدت الكثيـر مـن وزنـك، وزاغـت عـيناك، وكثـر هذيانك أثنـاء نومـك، حبـيبـي... حقـا هـذا كثيـر علـي ،لا أحتمـل رؤيتك علـى هذه الحال.

• وماذا بـيدي أن أفعل يا ڤولار؟
وكـيف لـي أن أبدو والشباب الذين دربتهم لـيصبحوا زهـر الـوطن تُزهق أرواحهم ويتـساقطون أمامـي صـرعـى مُضـرجـين فـي دمـائهم فـي ريعان عنفوانهم الواحد تلو الآخـر، وأنا لا أملك لهم شـيئًا.

• حبـيبـي.. افـرح مـن أجلهـم، إنهـم شـهداء عنـد ربهـم يـرزقون، يقدمون أرواحهم الزكـية قـرابـين لحـرية أوطانهم. من مثلهم الآن؟

• لكن الموت قاسٍ جدًا يا ڤولار، قاسٍ جدًا، وأقسـى منه حال الثكلـى علـى موتاهم.. أشعـر أن كلاً منهم ينتزع قطعة من روحـي معه عند رحـيله؛ لكم تمنـيت كل مـرة أن أكون أنا التالـي لألحق بهم..

تقاطعه ڤولار بلهجة حاسمة وعـيناها تغـرغـران بدموع التماسـيح :
• لاا يا إبـراهـيم، لا يا حبـيبـي ، لا تقـل هـذا أرجـوك؛ فمـن يحمـل رايات النصـر إذن ويـرد حقَّ هؤلاء الشباب؟ من يـسـيـر بهذا الـوطن ويقود شبابه إلـى بـساتـين الحـرية ويـسقـي هـذا الشـعب البـائس كؤوس الديموقـراطـية، ويـرفع الظلم عن المظلومـين، ويفـتح طاقـات

النور والأمل للفقـراء والمحتاجـين، وينزع عنهم أثواب الفقـر والجـوع والمـرض التـي أبلت أجـسادهم لـيـستنشقوا رحـيق الحـياة؟؟!!!!

يغالب إبـراهـيم دموعه وهـو يلقـي بنفـسه بـين أحضـانها ويزْفـر بآهة مدويةٍ يملؤها الألم علـى أرواح الشهداء، فـيقسم منفعلاً بـأغلظ الأيمان أن يثأر لهم ويـرد الصَّاعَ صاعـين لكل من ظلم، فتبـرق عـيناها الماكـرتان وهـي تشعـر بنجاح مآربها وتـستطـرد فـي حديثها قائلة :

• ابكِ يا حبـيبـي بـين ذراعـي لتخـرج ما يؤلمك وأحمله عنك؛ فالبكـاء يُطهـر الـروح من جـروحها وآلامهـا.. ابـكِ لتنتهـي مـن بكائـك وقـد استعدْتَ قوتك ورباطَة جأشك لنتباحث فـيما علـينا فعلـه، فالوقـت يمـر بنا ولن يفـيدنا البكاء علـى الـراحلـين وإلا لحق بهم من تبقـى.

• وماذا علـينا أن نفعله ولم نفعلـه بعـد؟ لقـد أسـقطنا نظامًـا تـربع علـى عـرش الظلم لـسنواتٍ ودهور فـي أيامٍ قلائل، وزجَجْنـا بـرجاله ووزرائه لغـياهب الـسجون وأخضعناهم للإقامة الجبـرية ومنعنـاهم من مغادرة البلاد حتـى يتـسنـى للشـعب القصـاص مـنهم، وأجبـرنا الشـرطة علـى الانـسحاب والتقهقـر أمامنـا، وحـيدنا الجـيش واكتـسبناه داعمًا لصـفوفنا، ولكـن ! كـما تـرين مـازال رجـال النظـام القـديم ومؤيديـه يثيـرون الفـزع بـين صـفوفنا بإسـقاط القتلـى وحـروب الشـوارع لا تنتهـي بـيننا وبـينهم. ناهـيك عـن عصـابات المـرتزقة الذين استغلوا تلك الثورات وراحـوا يـسفكون الـدماء علـى

حدودنا ويثيرون الفزع بين كل شعوب المنطقة.. بتُّ أشعر أن الأرض تميد بي.. ڤولار.. تعلمين كم أكره الدماء والقتل وأميل دومًا للسلام وإعمال العقل، وكل ما يحدث منافٍ تمامًا لذلك.

• ولكن ! لما تلوم نفسك؟

لست أنت من أتى بكل تلك الدماء.. كُفّ عن تأنيب نفسك في كل حين، رفقًا بنفسك.. كما أنك لو نظرت للجانب الآخر لوجدت أن هذه الدماء التي سالت هي من مهدَّت الطريق للنصر وعززت موقفك وموقف الثوار ويسرت مهمتكم وجعلت السواد الأعظم ينحاز لكم.

• حسنًا، وماذا بعد؟ الدماء مازالت تراق..

• سؤال جيد... ماذا بعد؟

لابد إذن من إسراع الخطى لتشكيل كيان سياسي يضمك والشبابَ، تطالبون من خلاله بتمكينكم من السلطة وتولي مقاليد حكم البلاد لتكمل مهمتك التي بدأتَ من أجلها في إرساء دعائم دولة العدل.

• كيان سياسي؟ أتقصدين أن ننشيء حزبًا سياسيا؟

• نعم، اليوم وليس الغد يا إبراهيم ستبدأ بتنفيذ خطواتك لهذا الأمر، ستتصل حالاً بكريم و د. أسعد الصفواني لإنجاز هذا الأمر.

obeikandi.com

• قاطعها غاضبًا : الوزير الفاسد؟ رجل النظام البائد؟

• لا تكن ساذجًا.. إنه رجل كل الأنظمة يا إبراهيم.. سيأتمر بأمرك وينفذ ماتريده منه بكل دقة؛ فالأمر بقبضتك الآن وأنت بالنسبة له الحصان الرابح، كما أنك أنت أيضًا تحتاج لخبرته؛ فهو داهية بلا أدنى شك.

• ولكن !

• بدون.. لكن... نحتاج للفاسدين لنحقق العدالة، هناك خفايا قذرة لن نستطيع الوصول لدهاليزها وخفاياها دون أن يصاحبنا دليل يعرف تلك الخوافي جيدًا.

• سيرفض الشباب الاستعانة به، وقد يظنون بي سوءًا.

• ستستطيع إقناعهم إذا ما أخبرتهم بالحقيقة، وحتمية احتياجكم لمثله لإنجاز مهامكم، وسينضم إليك الشباب لأنهم يؤمنون بك.. لكن لقاء اليوم سيكون ثلاثيا مغلقًا هنا في مكتبك.. أنت وكريم ود. أسعد فقط.

وأنا بالطبع.. سأكون بجانبك ولن يراني سواك كما تعودت في كل المواقف الصعبة، لأنبهك دومًا كيف تدير الأمور لصالحك.. أعني لصالح الدولة لتتحقق العدالة.

نفذ إبـراهـيم ما أوعزت إلـيه به ڤولار واتصل بكـريم و د. أسعد الـذي كاد أن يطـيـر من فـرط الـسعادة ويكاد لا يصدق أذنـيه أن إبـراهـيم قد اتصل به بالفعل؛ فأتـى مـسـرعًا لـيجد لنفـسه مكانًـا مـع النظـام الجديد الذي قلب الموازين، معلنًا ولاءه وتأييده التام للثورة المجيدة.

فاق نجاح الاجتماع توقعات إبـراهـيم الذي كـاد أن يتقـيأ قـرفًا مـن سـرعة تلون د. أسعد ضد النظام الذي تـرعـرع فـي خيـره، والـذي أوشك أن يقول أنـه هـو مـن أعـدَّ لتلـك الثـورة وكـيل مـن الشـتائم والاتهامات للنظام البائد مافاق خـيال إبـراهـيم أن يتوقعه، ولم ينـس بالفعل أن يتذرَّع بكونه أول من أثنـى إبـراهـيم عن الالتحاق بـركب النظام البائد وعن خوض الانتخابات البـرلمانـية الأخـيـرة وحـذره مـن زعزعة موقف (العاج)، وعزى ذلك إلـى علمه ببواطن الأمور، وأنه كان علـى صلةٍ وثـيقة ببعض شباب الثوار بل كان يـساندهم سـرا ويـدعمهم ويشـاركهم التخطـيـط، وكـان إبـراهـيم وكـريم يتبـادلان فـي صـمت النظـرات ذات المغزى؛ فهؤلاء الشباب صنـيعة أيديهما الخالصة...

أراد كـريم أن يقصـر المـسافات فوجّه كلامه غامزًا لـ د. أسعد :
• إبـراهـيم بـك.. بالتأكـيد جمعتنـا الـيوم لشـيء هـام ، أليـس كذلك؟ ثم نظـر إلـى إبـراهـيم وأكمل حديثه فـي هدوء واثق :
نحن رجالك وفـي خدمتك ومعك دائمًا.

• ابتسم إبراهيم وتوجّه لهما بكلمات قليلة وحازمة : جميعنا في خدمة هذا الوطن يا أعزائي، أسعد بك ، كريم... نحن أبناء اليوم؛ فلندع الحديث عن الماضي إذن لنبدأ فيما يفيد مستقبل الوطن.

• تحت أمرك طبعًا يا إبراهيم بك (قالها د. أسعد كما قالها كريم)

• سنقوم بإنشاء حزب سياسي يضم كافة الثوار، وستقوم أنت يا د. أسعد بمساعدة كريم بتجهيز اللازم، وإنجاز الأمر في غضون يومين أو ثلاثة على أقصى تقدير.

• قال د. أسعد : الأمر يحتاج لتصاريح وإجراءات قانونية.

• ردَّ إبراهيم بابتسامة ماكرة : لهذا أنت تشرفنا بحضورك اليوم، فهذا ملعبك بلا منازع، متى إذن تكون أمامي كل تلك التصريحات والأمور القانونية اللازمة؟

• أجاب د. أسعد : أحتاج لأسبوعٍ على الأقل.

• أجاب إبراهيم : يومان فقط.

وقبل أن يترك لـ د. أسعد مجالاً للفصال المعتاد في الوقت نظر إليه إبراهيم مُحفزًا بحيث لا يترك له مجالاً للمفاوضة قائلاً : أنت تستطيع، وأنا أثق في قدراتك جيدًا، فأنا أجيد اختيار رجالي، ثم نظر إلى كريم قائلاً :

كُن مع د. أسعد ونفذ كل ما يطلبه منك يا كـريم.

عـرف إبـراهـيم كـيف يُلهب حماس أسعد الصفوانـي ويـسـيلُ لعابـه للحصول علـى مـركزِ مـرموق فـي النظام الجديد...

كانت ڤولار مُحقة.. فهـي دارسـة جـيدة لأعـدائها ومعاونـيها، حقًا أسعد الصفوانـي هو رجل كلِّ الأنظمة...

obeikandl.com

(٢٦)

وقبل أن يصل د. أسعد لسيارته كان بالفعل قد بدأ في إجراء اتصالاته وشرع في الإجراءات؛ وهذه المرة هو على استعداد لأن يدفع كل ما يملك من الأموال في نظير أن يحصل على امتيازات مع هذا النظام الجديد؛ ويلوم نفسه لأنه بالرغم من تعاملاته السابقة مع إبراهيم لم يدرك مدى قوته وجبروته ليطيح بنظام عتيد آمن مستقر في غضون أيام قليلة وكيف ومتى أعدَّ هذه القوة الهائلة من الشباب وهو الذي كان يطمح في مجرد كرسي برلماني منذ أشهر قليلة ؛ لذا عاهد د. أسعد نفسه أن يبذل قصارى جهده ليكسب ثقة هذا الرجل الخارق

****

في صباح اليوم التالي للاجتماع الثلاثي كلَّف إبراهيمُ كريمًا بترتيب لقاء عاجل مع قيادات الشباب للتباحث في أمر الحزب السياسي، وسرعة إنشائه وإقناعهم بأهمية التواجد السريع على الساحة السياسية ؛حتى لا تضيع دماء شهدائهم هباءً ويستفيد سواهم مما بذلوا دماءهم للوصول إليه.

كما أن عليه مهمة إقناعهم بضرورة استخدام بعض فسدة النظام السابق كـ د. أسعد الصفواني وغيره إذا لزم الأمر؛ لتيسير القانونيات والأمور الإدارية على ألا يكون له أيّ تأثير على أي قرار سيتخذه الشبابُ بشأن إدارة الحزب وقرارته وسياساته، ومن ثمَّ الوصول الفعلي لحكم البلاد وتخليصها من رؤوس الفساد وأتباعه وردّ الحقوق لأصحابها.

وكان كل ما يشغل إبراهيم بالفعل.. هو كيف يصلح ما أفسده المفسدون لأجيالِ مضت..

****

في مساء نفس اليوم التقى إبراهيم بقيادات الشباب بالفعل وتباحث معهم في أمر إنشاء الحزب السياسي ، واستمع إلى وجهات نظرهم المتباينة وكعادته معهم كان مستمعًا جيدًا لآرائهم وتقبل اختلافاتهم معه بصدرٍ رحب ،فهو مؤمن بأن إهدار هذه الطاقات الشابة هو الأساس لكل فسادٍ بل هو معْول الهدم الحقيقي لدعائم أي دولة ؛ ولأنه مؤمن بهم ويحترم آراءهم فهم كذلك يبادلونه الشيء ذاته ولديهم استعداد جيد للإنصات له.

كان الجميع هو والشباب قد استحسنوا فكرةَ إنشاء الحزب السياسي، ولكن كان الخلاف كما توقع مسبقًا يكْمُن في استخدام بعض رموز الدولة القديمة ؛ فالشباب الثائر يرى فيهم قتلة رفاقهم

ويرى في الاستعانة بهم خيانة لثورتهم ولشهدائهم ويعد بمثابة وضع أيديهم في أيدي ملوثة بدماء الشهداء ؛ حاول إيصال وجهة نظره لهم واستطاع بلباقته المعتادة أن يستميل معظمهم لوجهة نظره، فتم أخذ الأصوات وكانت الغلبة للفريق المؤيد لرأيه مما جعله يشكر الجميع على الثقة ، وقدم لهم العهود والمواثيق بألا يُهدر دم الشهداء ولا يسمح بالفساد والفاسدين بالتوغل بينهم وإنما فقط سينفذ بهم ما لا يُنفذ بسواهم.

****

بعد انتهاء لقائه مع الشباب كان إبراهيمُ يشعر بالضيق نوعًا ما ؛ ذلك لأن الآراء في الشارع ليست على ما يرام وأن ثورة الشباب لا تكتسب التأييد الشعبي المطلق؛ فالشعب منقسمٌ لعدة فئات ولا تمثل أيّ منها أغلبية مطلقة، بل إن الصراع بين الفئات المختلفة يصل حدَ التراشق بالألفاظ والتدافع بالأيدي وربما إلى حرب الشوارع أحيانًا، فكل فئة ترى الحق المطلق معها دون سواها، ولكن نسبة التأييد حتى الآن تعتبر جيدة ؛ لذا.. وكمضارب قديم في البورصة وأسواق العملات تعلمَّ أن يستغل أبسط المكاسب لتحقيق نسب أعلى من الأرباح حتى لو كانت تدريجية ولا تأتي دفعة واحدة ؛ فعدة مكاسب بسيطة متقاربة ستحقق ربحًا وافرا على المدى الطويل ؛ بل إن لغة المال علمته أيضًا أن يخاف من ارتفاع الأسهم المفاجيء لأنه في الغالب يعقبه سقوط مدوي.

بناءَ على ذلك... فقد قام بترتيب لقاء تليفزيوني يُطل من خلاله على عدد أكبر من المشاهدين ويتسلل إليهم في ديارهم، يتحدَّث فيه بلباقته المعهودة لعله بذلك يكسب أرضًا جديدة.

****

ولأهمية الأمر بالنسبة له فقد شعر بأنه يحتاج دعمًا نفسيا خاصًا قُبيل إجراء اللقاء التلفزيوني، لذا أمر السائق بالانصراف متعللاً برغبته بالاختلاء بنفسه هذه الأمسية؛ لقد أراد أن تصحبه ڤولار ليشعر بمزيد من الثقة ويرتب كلماته.

وكان له ما أراد وقدمت له بالفعل نصائحها ودعمها ونبهته بدهائها لضرورة الضرب على أوتار المشاعر لينفُذَ إلى قلوب المشاهدين، وأن يتحدَّث بهدوء وحكمة، وأن يخفف من حدة حنَقه على النظام البائد ، ويجعل دومًا هجومه منطقيا ومحددًا بأخطاء كارثية شهيرة تكون قد مست شغاف قلوب الناس واكتووا بنارها، أو ربما أيضًا فقدوا أحباءهم من جرائها.

ماكرة ڤولار تعرف جيدًا متى تضرب لتصيب، تعرف كيف تُعد عدتها جيدًا لتنقض على فرائسها بلا رحمة دون أن تترك لهم مساحة للنجاة... وكيف لا وهي... حفيدة إبليس

****

حقق اللقاء التلفزيوني نجاحًا بدرجة كبيرة واكتسب إبراهيم عقولاً احترمت فكره حتى و لو لم تؤيد فكرته؛ اعتبر نتيجة اللقاء مرضية بالنسبة له إذا ما قاسها بحدة الخلاف في الشارع السياسي، وإذا ما قاسها أيضًا بكونه اللقاء السياسي الأول له عبر شاشات التليفزيون حيث اعتاد أن يكون ضيفًا فيما سبق في البرامج التي لها علاقة بالاقتصاد ومؤشرات المال ولكن... اليوم أعتبره إبراهيم هو يوم ميلاده السياسي الحقيقي.

****

في صباح اليوم التالي كان د. أسعد قد أعدَّ كل الأوراق القانونية اللازمة لتدشين الحزب الجديد بما يحقق الانتشار الجغرافي للحزب وموارد التمويل وإنشاء حساب بنكي، وجهز قوائم الأعضاء المؤسسين وأمناء الحزب ومسئولي الأنشطة الحزبية المتعددة ،كما أعدَّ برنامج الحزب وأهدافه بشكل مبدئي حتى يجتمع بشباب الحزب.

obeikandl.com

(٢٧)

اضطراب الأجواء الذي يعم الشارع كان للحزب الوليد الجديد منه نصيب، فالشباب المُتقِد بالثورة والأفكار ، الفائرُ بالحماس من الصعب توحيد كلمتهم والسيطرة على جموحهم وشطحات أفكارهم.. ولكن؛ مازال لإبراهيم رصيدٌ لديهم يسمح له بمحاولة جمع كلمتهم تحت رايته باستمرار وإيجاد مساحة لقاء تُطرح بها الحلول الوسطية، المرضية للجميع.

****

كانت ڤولار تتابع عن كثب كل هذا وتقدم لإبراهيم دعمها المعنوي، ونصائحها التي تغير مُجريات الأمور دومًا لصالحه ، وتحدثت معه عن رغبتها العارمة في أن يصل لمقعد الحكم في بلاده ، مُدعيةً أن ذلك سيعزز كثيرا من موقفها في قومها ، وإنه لو أصبح حاكمًا في بلاده واستطاع أن يرفع الظلم عن مملكتها والجور الذي استمر لعقود بسبب أعوان الشر من مملكتها لحكام الفساد من أوطانه، وما طال أرض بلادها من الظلم بسببهم، فإن جاء هو وعدّل كلَ ذلك فرفع الظلم عن بلاده وممكلتها في آنٍ واحد فستكون له مكانة عظيمة في قومها وحينئذٍ سيدعمونه

بكل قوتهم ويثبتوا أركان حكمه وستُقام الاحتفالات في مملكتها لزواجها من إنسي مثله.

استطاعت بحديثها وتحفيزها هذا أن تمس شِغاف قلبه، وتجعله مستعدًا لاستقبال المزيد من أفكارها ليسعى إلى مقعد الحكم بكل عزم وإصرار، بل إنه أيضًا تباحث معها عن إمكانية وضع التصور الذي يساعده على الوصول لتحقيق هذه العدالة وسرعة رفع الظلم والفقر عن كاهل المواطنين، وكانت بذلك الفرصة مواتية لها لتزرع ما شاءت من الأفكار في رأسه.

جلسا معًا على مائدة الاجتماعات وجاءت بالأوراق والأقلام وبدأت في رسم خارطة لوطنه ليسهل لها أن تشرح له من خلالها المطلوب وتبدأ بإقناعه.

رسمت الخريطة، ورسمت النهر الكبير الذي يمر ببلاده فيقسمها نصفين تقريبًا، رسمت الأراضي المزروعة ورسمت القفار، رسمت البحار والجبال..

ثم بدأت بحديثها عن الفقراء، فقالت :

• هذه هي الموارد الطبيعية للدولة أي هبة الله، وهبة الله للجميع لكم.. ولنا أيضًا، وأنتم أهدرتم حقوقنا فيها وخالفتم قِسمة الله فيما بيننا لذلك لم يجدِ نفعًا لكم، ولم ينتفع الفقراء بما

تفعلون، بل أهدرتم الوقت والمال لكي تحققوا المُحال، فلا المُحال تحقق ولا المال المُهدر عاد ولا الوقت أحد منه استفاد... وفوق هذا وذاك ازداد الفقراء فقرا وشقاءَ، وتكبدوا المزيد من العناء.

نظر إليها إبراهيم منصتًا ونظر إلى الخريطة على الطاولة محاولاً الفهم ثم سألها المزيد من التوضيح ، فقالت:

•ماء النهر لنا ولكم وأنتم زرعتم الجانبين، ولم تتركوا لنا جانبًا منه، فكُنا كلما أردنا الماء مررنا من أراضيكم فينتاب الفزع كل من يشعر بوجودنا منكم، وتُحاك القصص والأساطير عن إيذائنا للبشر، فلو أنكم تركتم لنا جانبًا ما فزع أحد، هذا بالإضافة إلى أنكم بذلتم الكثير من الجهد في شق الترع والقنوات فاعتديتم على الصحارى التي بها مساكننا ؛ فأفزعتمونا وشردتم قبائلنا فيها ، ويا ليت هذا أجدى في رفع الفقر عن فقرائكم بل زاده، وأثقل أعباء المساكين بالمزيد

هل تعلم لما؟؟

•كيف؟!والأرض الزراعية تزيد وبهذا يزيد الخير والنماء.

• كلا يا إبراهيم ، هذا ظاهر الأمر فقط. متى كانت الزراعة تُغني وتزيد الخير والنماء؟؟ المزارعون في كل زمان هم الفقراء.

فلو أن الزراعة تزيد الخير والنماء كما تدعون لما خلق الله الصحاري وجعل رقعتها أكبر وأوسع من تلك الرقع الصالحة للزراعة.

•ما الذي يزيد الخير إذن ويكثر المال؟

•الصناعة، والسياحة، والتجارة، وغيرها الكثير..

كيف؟؟

• يجب أن يكون دومًا لديك ما يحتاجه غيرك لتقايضه عليه بالمال والزراعة التي تفترض أنها تحقق الخير والنماء لا تحقق لك ذلك.. نعم ، صدقني يا عزيزي، وتعالَ لنحسبها بالأرقام تلك اللغة التي تتقنها أنتَ جيدًا وتفهمها يا حبيبي Kتابع معي ما سأطرحه عليكَ ولكَ أنتَ الحكمُ في النهاية.

أولاً : إذا كانت الزراعة أكثر ربحًا فلماذا إذن يعاني ٩٠% من المُزارعين الفقر، كما أن النظام البائد قد قام بتجريف الكثير من مساحات الأراضي الزراعية وحولها لمناطقٍ سكنيةٍ، وكان المنتَفِعون من ذلك هم الفسدة من حاشيته المقربين، ولكي يصرفَ الرأي العام عن تلك الجرائم وزَّع الكثير من الأراضي الصحراوية على شباب الخريجين قليلي الخبرة، معدومي الإمكانيات ليستصلحونها ويزرعونها بما يمدهم به من إمكانيات لا تُجدي في الحقيقة، ولكنها تعمل كمهديء لمرأي العام ضده.

obeikandl.com

فلا أفلَحت تلك الأراضي وزُرعت كما يجب، ولا عادت الأراضي التي جرفت ولا شبع الجوعى ولا اغتنى الفقراء.

ثانيا : الدول العُظمى المتحكمة في أسواق المال العالمية هي دول صناعية وتجارية وسياحية، دولٌ لديها كذلك استثمار الفكر و العقول، أما عن الزراعة لديهم فهي تقوم على تكنولوچيات متطورة وآليات لا قبل لبلاد نامية بمثلها ، وهم أيضًا في أغلب الأحايين يستخدمون البلاد الفقيرة ذات الأراضي الخصبة كمزارع لهم ، ذلك لأنهم يمتلكون مايقايضون عليه غيرهم... أي لديهم ما يبيعونه للآخرين ويتربحون منه... أما دولتك فتستنزف ثروتها ومجهود أبنائها في الزراعة بآلياتها البدائية المتواضعة التي بالكَاد تكفي احتياج المواطنين ولا تُدر أرباحًا فتظل كما هي عبر السنين، يتقدم من حولها وهي تعيش لتزرع وتأكل ما تزرعه، بل إنه أيضًا لا يفي باحتياجاتها فتشتري من باقي الدول لتكمل احتياجها، فتظل تدور في حلقة مفرغة ولا تتحرك للأمام.

ثالثًا : لديك في دولتك أماكن سياحية وشواطيء وأماكن جبلية وآثار وأماكن علاجية طبيعية وغيرها الكثير، الذي من الممكن أن يُدرَّ على الدولة أموالاً طائلة لو تم التسويق السياحي الجيد له، كما يمكنك أن تؤجر للدول الكبرى بعض تلك المناطق السياحية وتعطيها حق انتفاع طويل المدى ؛ وبهذا تدر العائد

الكبير على وطنك وتجعل الدول الكبرى تقوم بحماية أراضيك بنفسها عندما تتشابك مصالحهم معك.

رابعًا : يمكنك إقامة الكثير من المصانع وتستفيد من بعض الرقعة الزراعية الشاسعة التي لا تُدر أرباحًا وتصبح دولتك دولة صناعية وتتقدم اقتصاديًا ويعود الأمر بالنفع على الفقراء والمحتاجين فيجدوا الأعمال التي توفر لهم سبل العيش الكريم، وهناك ما هو أهم من كل ذلك؟

•ماهو؟

• الفكر يا عزيزي.. فالأفكار لا تُقدر بالمال، ولديك ثروة من العلماء والمخترعين الذين من الممكن أن يدروا على دولتك الثروات الهائلة، ويحولوا رمالها ذهبًا لو أحسنت استغلالهم.

أنصت إبراهيم باهتمام لكلام ڤولار وبدا عليه الاقتناع بمعظمه، وسألها : ولكن ! ماذا عن توفير الخُبز والغِذاء الذي يفي باحتياجات السكان؟

فأجابته بأن تكلفة استيراد القمح وباقي المنتجات الزراعية أقل بكثير جدًا من تكلفة زراعتها، وستستفيد الدولة من الفرق في إقامة المشروعات والانعاش السريع لاقتصادها، كما ستستفيد الدولة من علاقات التجارة والاستيراد من الدول الكبرى التي

ستجد نفسها تحتاج لعلاقتها التجارية بوطنك لأنه مصدر دخل لها فتزداد أهمية بلادك لديهم.

فتح إبراهيمُ حاسوبَه وأخذ يقلب كلماتها في عقله ويحسب الأمر بالأرقام ويجمع ويطرح ويقسم ويضرب، فوجد أن كلامها يبدو صحيحًا ؛ فالأرقام السنوية التي تنفقها الدولة من ميزانيتها في الزراعة واستصلاح الأراضي والأموال التي يهدرها الفاسدون من خلال الانتفاعات المستترة داخل ذلك ثلاث أضعاف ما سينفقه من استيراد القمح والحبوب ، ولتزرع أراضي الدولة بفواكه التصدير فيستفيد من عائدها أيضًا وكل هذا سيصب في مصلحة الفقراء ؛ فلم لا؟

****

وهكذا أقنعت ڤولار إبراهيمَ بالبرنامج الذي أعدته واستطاعت تضليل الحقائق كعادتها وإلْبَاسِ الشر ثوبَ الخير، فيبدو ما تعرضه عليه في ظاهره الرحمة بينما في باطنه العذاب، فإن كان ظاهره براقًا ويوحي بالآمال العريضة في التقدم الاقتصادي المبهر والنهوض بالدولة فحقيقته أنه سيهوي بها إلى الهاوية، فأيّ منفعة هذه ستجنيها الدولة وهي لا تملك قوت يومها، أيّ نفعٍ هذا سيعود على المواطن وقد جرفت الأراضي الزراعية وهلك الزرع والحرث ! أي قوة يخال أنه

سيحصل عليها وقد سلَّم دولة أخرى صوامع غلاله؟ وهل يملك قراره من لا يملك رغيفه؟

لكن إبراهيم يؤمن بأفكار ڤولار ويثق بعقليتها الفذَّة التي جعلت منه واحدًا من ألمع رجال المال في بلاده ؛ بل أنه لا يملك معها غير ذلك وقد أحكمت سيطرتها على لبه وطوّعته كما أرادت ، لذا لا نراه إلا وقد تبنى أفكارها وبدأ ينشرها ويدافع عنها في حزبه ، وأصبحت تلك الأفكار جزءاً من برنامج الحزب ومشروعه الذي تُعد له الدراسة ليدخل حيز التنفيذ حال وصوله لمقعد الرئاسة ، الذي أعلن ترشحه له وأعدَّ أوراقه لذلك وبدأت بالفعل حملته الانتخابية تجوب أرجاءَ البلاد ويجوب معها ليلتقي بالفلاحين والفقراء، ويعقد المؤتمرات التي أخذت طابعًا فريدًا فلم يكن يتحدث ليقنعهم بنفسه وببرنامجه الانتخابي بقدر ما كان مهتمًا بالانصات لهم والاستماع لمشاكلهم.

لقد نجح إبراهيم في كسب ثقة الكثيرين، الذين استشعروا الصدق فيما يصبُو إليه من أجل مستقبل هذا الوطن.

(٢٨)

منذ أنْ سقطَ أول شهيد عندما اندلعت الثورة وإبراهيم كثيرا ما يرى والده وأحيانًا والدته في منامه وأحيانًا كليهما..

يأتيانه صامتين لا يتحدثان إليه بشيء وإنما فقط ينظران إليه نظرةً لا يستطيع تفسيرها، نظرةً لا تنم عن رضى أو سخط، نظرة خالية من التعبير، ولكن اليوم حدثَ شيءٌ مختلفٌ، أتته أمّه وكان بين النوم واليقظة ونادت عليه بنبرة فيها تحذير؛ فانتبه من نومه فجأةً وهو يشعر بشدة خفقان قلبه ليجد هاتفه لا يكفّ عن الاهتزاز الصامت إشارة لوجود متصل ولكن توقف قبل وصول يده إليه.

حدَّث نفسه بأنه مضطربٌ نفسيا وأنه ربما عاد إليه بعض توتره القديم ولم يُعر الأمر اهتمامًا كبيرا فما يمر به ليس بالأمر الهين أو اليسير على أية حال.

****

نظر في هاتفه ليجدَ أن كريم قد اتصل به سبعَ مرات، تساءل بخاطر غريب جال داخله ترى ما المهم لدى كريم لتوقظني أمي من أجله؟!

اتصل بكريم وهو يتثاءب بنصف وعي، ولكن المفاجأة التي ألقاها كريم على مسامعه قامت بدور خَزّانِ كَافيين يكفي لإفاقة حي سكني كاملِ..

حيث بادره كريم :

• مساء الخيرات إبراهيم بيك آسف على إزعاجك ولكن الأمر لا يحتمل التأجيل.

• ماذا في الأمر يا كريم؟ أقلقتني؟ هل أصابكَ مكروهٌ؟

• لا يا أفندم ، لكن في ضيافتنا الآن في مكتب سيادتكم مبعوثًا لسفارة دولة عُظمى ؛ جاء ليرتّبَ موعد لقاء مع سيادتكم على وجه السرعة مع سفيرة بلاده، يقول أنها تحمل رسالة من بلادها ورئيس دولتها لكم ، وإنّ هناك أمورٌ هامة عليها أن تتفاوض فيها معكم شخصيا، لذا وجدتُ أن أتصل بك لتحديد ذلك الموعد سريعًا.

• و ماذا لدينا الليلة يا كريم؟

• مؤتمر صحفي مع جمعية بناة المستقبل المختصة بشئون متحدي الإعاقة، هل أقوم بتأجيله؟

• ولكنه مؤتمر هام ولا يمكننا تأجيله.. أخشى أن نؤجله فيفسر موقفنا أنه عدم اهتمام بهذه الشريحة من المجتمع.

• ولكن السفيرة تنتظر منَّا تحديد موعد الليلة.

• حدد معها موعدًا بعد نصف ساعة وأجِّل المؤتمر لساعتين فقط وحاول أن تعرف من مبعوث السفارة كم ستستغرق المقابلة مع جناب السفيرة من الوقت، فإن كانتْ تريدُ وقتًا مفتوحًا فمن الأفضل أن يكون في صباح الغد

• ولكن... أرى أن يكون اليوم على أيّة حال.

• كريم ، استمع لما أقوله لك فلن أخسر أبناء وطني من أجل دولة أخرى على أية حالٍ.

• كما ترى سيادتكم، سأفعل أفضل ما أستطيع.

لقاء السفراء ورسائل رؤساء الدول أمر لم يتعرض له من قبل، ولكن يبدو أن عليه أن يعتاده؛ لأنه ببساطة دخل إلى عالم جديد له أبعاد مختلفة، وعليه أن يكون حَذِرًا أكثر في خطواته، لأن كل خُطوة قد يكون ثمنها باهظًا وقد تحقق مكاسبًا غير متوقعة، المهم أن ينتبه أين سيضع قدمه في الخطوة القادمة.

أدركتِ السفيرةُ أنها أمام شخصيةٍ تتمتع بالذكاء وسرعة البديهة، شخصية لا تنبهر بسهولة.. حقًّا إنه يحمل جينات حاكم.

obeikandl.com

(٢٩)

اختارت السفيرةُ أن يكون اللقاء في صباح اليوم التالي ، وأن تكون مدته مفتوحة، أحبتْ أن تستفيض معه في الحديث لتتمكن من نقل صورة كاملة عن ملامح شخصيته لدولتها ، بدأت حديثها بالتهنئة التي حملتها له من رئيس دولتها وشعبها على نجاح ثورته ضد النظام البائد وأبدت له رغبة بلادها في التعاون معه وتوطيد أواصر الصداقة بين الدولتين، كما وعدته بتقديم الدعم اللازم حال وصوله للحكم، كما أبدت إعجاب دولتها بالفكر الاقتصادي الذي طرحه من خلال برنامجه الانتخابي وأنهم على استعداد لتوريد ما يحتاجه وطنُه من القمح والحبوب بأسعار مناسبة مقابل إبرام صفقات التعاون العسكري بين البلدين. كما أنهم على استعداد أيضًا لدخول المزايدة على حق الانتفاع بالمناطق السياحية في دولته وأنهم سيكللون هذا التعاون المثمر بمنح دولته القروضَ التي تحتاجها لإقامة المشروعات.

رحَّب إبراهيم بعروضها وشكر دولتها رئيسا وشعبًا على هذه الثقة ،كما وعدها بدراسة العرض المقدم من بلادها حال وصوله للحكم، ولكن شيء ما بداخله بدأ يتشكك في الأغراض الخفية

وراء كل هذه العروض السخية؛ لذا لم يتسرع في إبداء أية موافقة قبل الدراسة من قِبل خبراء الاقتصاد الذين سيختارهم بعناية لتحقيق أكبر فائدة لوطنه.

لمست السفيرة في شخصيته ذلك الطموح الحذِر المصحوب بالذكاء الحاد والغموض، كما أنها نقلت لدولتها أن شخصيته يصعب التكهن بما ستُقدِم عليه، ولكن لديه الرغبة الأكيدة في التعاون معهم كما يبدو لها بالرغم من كونه يحتاج لمعاملة خاصة.

****

عززت عروض السفيرة البرنامج الذي وضعته ڤولار، التي أثنت بدورها على عروض السفيرة وحفزت إبراهيم على قبولها قائلة في ثقة :

• حبيبي إبراهيم ستصبح رئيس دولتك في غضون أسابيع قليلة، والفقراء الذين سيصلون بك لمقعد الحكم ينتظرون منك الكثير في وقت قليل؛ لذا عليك أن تضع عروض هذه الدولة الصديقة على قائمة أولوياتك فقد لا تماثلها عروض من دول أخرى؛ كما أن التعاون مع دولة عُظمى كهذه سيكسب دولتك القوة العسكرية والاقتصادية اللازمة لتجعلك في مصاف الدول الكبرى وتحقق التقدم السريع لدولتك، ويتغير حال الفقراء سريعًا في أقصر مدة زمنية.

• مازلت أفكر في الأمر مليا يا ڤولار، داخلي شيء من القلق والتوجس.

• مِمَّ يا إبراهيم؟ دعْكَ من مخاوفك وترددك هذا ولا تُضِعْ منك الفرصة فتندم عليها، سيساعدك قبول هذا العرض ليشعر الفقراء بسرعة تغير أحوالهم للأفضل؛ فيلتف الناس حولك وتزداد مساندتهم لك فيقبلون على العمل والانتاج.

• ولكن !

• ليس هناك مجال لكلمة لكن ! ثق بي فأنتَ تعلم أن لي رؤيتي الثاقبة.

• سأفكر مليا يا ڤولار، يساورني بعض القلق.

• بل ستوافق يا حبيبي... ألا تريد أن تصبح زعيمًا يُشار إليه بالبنان؟ لن تصبح رئيسًا عاديًا كمن سبقوك؛ فأنت مُختلف... مُختلف جدًا..

سيتيح لك هذا العرض أن تبلغ مكانة الزعماء الذين سطر التاريخ أسماءهم من نور؛ لأنك ستنقل دولتك من دولة فقيرة تستهلك ما تنتج من مزروعات فقيرة إلى دولة عظمى لها كيان إقتصادي، يرتفع فيها دخل الفرد ليعيش برفاهية غير مسبوقة في العهود السابقة.. سترعى مصالحك تلك الدولة لأن مصالحها أصبحت مرتبطة بمصالحك.

أعاد إبراهيم خُصلات شعره المتناثرة على جبينه للخلف وهو شارد الذهن مُشتت النظرات وتمتم لـثولار : سنرى ما يسفر عنه الغد..

لم يعجب ثولار هذا التردد الذي لمسته من إبراهيم، هذا التردد سيفسد خططها، ضيقت ثولار عينيها غير راضية وهي تحدِّث نفسها قائلةً : سأتدبر الأمر...

****

كان لابد من اجتماع عاجل لـثولار بأعوانها لتحريك الأجواء للضغط على إبراهيم لقبول عروض تلك الدولة التي ستسهم في وصول ثولار لمبتغاها وتحقيق مصالح مملكتها كما أرادت.

تم الاتفاق معهم على عدة خطط تسير في خطوطٍ متوازية على أن يبدأ التنفيذ فور وصول إبراهيم لمقعد الحكم؛ فلن تترك له الوقت للتفكر وإفساد مخططاتها على أية حال ، ولكن الآن ستتضافر الجهود لإيصاله للحكم.

من ناحيةٍ أخرى كان على ثولار أن تشعله بالحماس وبإثارة غرامه حينًا آخر وتذكره بحلمها أن يكون زعيمًا يرد الظلم عن مملكتها لتتوَّجَها مملكة الجانّ كما سيتَوّج على حكم بلاده.
إلا أن إبراهيم قد تغير فيه شيء ما...

****

(٣٠)

عندما تُخدش أرواحُنا يخفُت ضوءٌ ما داخلنا ؛ ذلك الضوءَ الذي كان يهِب الحياة رونقها فلا تعود البهجة إلينا مهما علت ضحكاتنا...

****

في ليلةٍ أشعلتها ڤولار بكل نيران الغرام، لكن إبراهيم لم تلهبه تلك النيران كما كانت تفعل من قبل، بل بدا آليا وكأنه بلا روح، كانت تجد نفسها خافتة بين زخم أفكاره ومخاوفه من الغد الملبّد بالغيوم، التي حاولت جاهدة أن تصرفها عنه لتحتل المكانة الأكبر بين زوايا نفسه وعقله وقلبه ومشاعره، وتفرض سطوتها الكاملة عليه، لكنه اليوم قد اختلف..

كان عليها أن تدرك أن طبيعته البشرية المتأرجحة بين طينٍ من صلصالٍ كالفخار ونورٍ من روح الله لها جوانب عَصية وأن عبثها مع النور داخله وجَلْد روحه بسياط الفقد وأنهار الدماء التي سالت أمام ناظريه ستترك أثرها الذي لا يمكن محوه؛ فأصبح كالوشم على جدار القلب.

نعم ، اختلف إبراهيم.. اختلف كثيرا، لكنها ستجد طريقها إليه، وكيف لا تجده وهي تراه من الداخل، تستعمر زواياه الخفية.. هي ليست كالإنسيات العاجزات عن الحيل.. هي تستطيع أن تجري منه مجرى الدم والروح وتضع يدها برفق على نقاط قوته وضعفه... خلاصُه من سطوتها عليه ضربٌ من الخيال.

وكما نجحت من قبل في إبعاده عن الجميع واعتزاله للبشر ولجوئه للعلاج النفسي وتخبطه حتى وقع بين براثنها؛ ستنجح من جديد في إخضاعه لما تريده منه، فلن تسمح له بالفرار من قبضتها.

الشيء الوحيد الذي أغفلته ڤولار لأنها لن تستطيع أن تراه أبدًا.. هي تلك الرسائل التي تأتيه من الله؛ لعله يستطيع التقاطها في حينها لينجو من بين براثنها.

****

شرع أعوان ڤولار في تنفيذ ما تم الاتفاق عليه معها، وبدأوا بتهيئة الأجواء، لكنها تهيئة شائكة كسلاح ذو حدين؛ أحدهما سيزُجُّ به زجًا مذللاً كل الصعاب، مدفوعًا إلى مقعد الحكم؛ وحدُّه الآخر مُوجهًا إليه إن لم يخضع لتنفيذ مُخططات ڤولار فور وصوله إلى مقعد الحكم، والعجيب أن نفس أدوات التهيئة هي ذاتها أدوات الإطاحة به..

****

بدأ افتعال الصراع بين طوائف الشعب المُختلفة وكان على إبراهيم أن يتوافق مع الجميع ويُقدم حلولاً مرضية وَوُعودًا لكل جانب ليكسب أصواتهم وولاءهم له، لم تكن الخلافات الطائفية العَقائدية هي فقط ما تم افتعالها ، وإنما اختلافات قبلية في بعض المناطق التي تحكمها القبائل وأخرى نزاعات انتمائية أكثر خطورة لأنها تمس مناطق حدودية تهدد أمن دولته واستقلالها.

تلك الوعود التي قدمها والحلول التي لاقت قُبولاً من جميع الأطراف هي السيف المسلط على رقبته إن لم تُنفذ كما يجب؛ حيث أن جميع أطراف النزاع اعتبروا أن أصواتهم له تُعَد ثمنًا لما عليه تنفيذه وإلا خرجوا عن الطوق ودوَّلوا قضاياهم ليقع هو في حيص بيص.

****

وفي الوقت ذاته انهالت عليه عروض الدول الكبرى التي أخذت ترسل له سفرائها ليعرضوا عليه سُبل التعاون المختلفة في جلسات سرية ، والتي تمنح كل منهم امتيازات داخل دولته إن أتمها مقابل الحماية والدعم المادي والعسكري وتبادل المصالح، وبهذا تعددت العروض المقدمة إليه وبدأ يفاضل بينها و لم يبرم وعودًا لأي منها، بل أرجأها جميعًا لحين وصوله للحكم واختيار المستشارين ومن ثم اتخاذ القرار الملائم لدولته.

لم تشعر ڤولار بالارتياح لترددده، ولكنها بدت أكثر هدوءاً لاقتناعها أنه لابد سيختار أيًّا منها شاء أم أبى ؛ وكلهم سيؤدي لها الغرض المنشود؛ فهي من وضعت كل تلك الخطط المحكمة وأتت بها إليه ليتخذ أحد القرارات التي أعدتها هي؛ فيبدو له الأمر أنه صاحب القرار بينما الحقيقة أمر مختلف. فهي كمَن قدم له نفس الوجبة ولكن في أطباق مُختلفة فلا يعني اختياره للطبق ولونه أنه اختار الوجبة المُقدمة فيه، لقد حددته بإطارٍ لن يخرج عنه.

****

تشابكت خيوط العنكبوت التي نسجت بعناية حول إبراهيم؛ فبدا من المستحيل أن يفلت منها وباتت المسألة مسألة وقت لا أكثر؛ فحالما يصل إلى مقعد الحكم سيكون قد نضج وحان وقت التهامه.

(٣١)

كان على (كريم) أن يرتب كل شيء يخص عروض الدول المختلفة بنفسه ، ويحفظ المعلومات على ملفات سرية خاصة على الكمبيوتر الشخصي الخاص بإبراهيم، والنسخة الأخرى على الكمبيوتر الخاص به شخصيا ، وليس على أجهزة الحزب أو أجهزة الشركة حفاظًا على سريتها الكاملة؛ فلم يكن إبراهيم يضع ثقته في أي شخصٍ آخر، أما النسخة الثالثة المطبوعة فكانت في خزنة إبراهيم الخاصة في مكتبه في الڤيلا.

****

اقترب موعد الانتخابات واسْتَعرت الحروب الانتخابية بين المرشحين المتنافسين الثلاث الذين تقدموا لخوض الانتخابات.

لم يكن إبراهيم يضع لمنافسيه حيزًا كبيرا من تفكيره ؛ حيث استطاع أن يجمع بسهولة خبايا وفضائح عن كليهما ، وقام أعوانه ببثها مثبتة عليهم أحيانًا بالصوت والصورة؛ فمن لم يشاهد بنفسه بلغته الأخبار من ثقات شاهدوا بأنفسهم ؛ بل إن نسخًا من اسطوانات إداناتهما وفضائحهما كانت قد وصلت لهما

شخصيا ولزوجاتهما أيضًا، في حين لم يستطع أيًّا منهما التقاط أي خيط يصل لخبايا إبراهيم؛ بالرغم من كونه غير متزوج في مجتمع شرقي لا يسمح بعلاقات غير شرعية إلا أنهم لم يتمكنوا من إثبات أي شائعة ضده، بالإضافة لتاريخ إبراهيم الطويل في خدمة الفقراء ورعاية مصالحهم، مما هيأ أن تكون المعركة الانتخابية محسومة لصالحه وبمنتهى النزاهة.

****

جاء اليوم الحاسم بعد ثلاثة أيام لم يذق فيها إبراهيم طعم النوم ولم يتسنَ لڤولار الامتثال أمامه، ولو للحظة وإن لم تترك مكانها بين أفكاره حيث كان معظم شباب الحزب وأعضاء حملته الانتخابية منتشرين في كافة أنحاء ڤيلته وحديقته وحتى حول الأسوار فالمكان الوحيد الذي لم تطئه أقدامهم هو غرفة نومه ولولا الحرج وقليل من الحياء لدخلوها أيضًا، ثلاثة أيام متواصلة انعدم فيها كل مايشير للخصوصية من بعيد أو قريب ولم يعرف أي شيء سوى القهوة طريقه إلى معدته المضطربة بالرغم من موائد الطعام المبسوطة للزوار ليل نهار والتي قام كريم بالتعاقد مع كبرى الفنادق للإشراف عليها..

الشاشات موزعة في كل مكان في الڤيلا والحديقة والشوارع المحيطة لمتابعة حركة اللجان الانتخابية ولجان فرز الأصوات

بعدها، وصل الترقب غايته القصوى وبلغت القلوب الحناجر واتجهت الأحداق تتابع الأرقام والنتائج المعلنة على الشاشات والجميع يحسب ويجمع ويطرح.

وعلى الرغم من الارتياح الذي دبّ في نفوس الجميع من المؤشرات بنجاح إبراهيم نجاحًا ساحقًا إلا أن الأنفاس حبست وقت الإعلان النهائي الرسمي لنتيجة الانتخابات لتتعالى بعدها صرخات الفرحة بالانتصار، وتدوِّي أصوات طلقات الأعيرة النارية في الفضاء وأطلقت الأغاريد ابتهاجًا بالفوز.

نعم،... فاز إبراهيم بمقعد الرئاسة وبات الحُلم حقيقة...

حُلم ! حُلم مَن؟؟ حُلم ڤولار ، حُلم مؤيديه ، حُلم شباب الحزب الذين وضعوا فيه آمالهم، حلم الفقراء، حلم المظلومين، حلم الطوائف والقبائل المتنازعة ببلوغ مرادها، حلم الدول الكبرى الطامعة في اقتسام دولته والتهامها كوجبةٍ شهيةٍ طال انتظارها.

إنه حُلمٌ لكثيرين حقًا، ولكلٍ منهم دوافعه المختلفة، ولكن لإبراهيم بدا الحُلم مُختلفًا جدًا؛ فلحظة إعلان فوزه تذكر حُلمًا رآه في ليلةٍ سابقة في غفوةٍ غفاها على مكتبه... حيث رأى والدته تأتيه هذه المرة بنظرة متعاطفة وتعطيه مُصحفًا ومفتاحًا وصندوقًا عتيقًا أخضر اللون، وعندما همَّ بوضع المِفتاح

في الصندوق استيقظ على صوت أحدهم يناديه ليعلمه بما وصل إليه الفرز من نتائج.

يصعُب وصف ما يعتمل في نفس إبراهيم الآن... إنها لحظة فارقة ليست من عُمره فحسب، بل من عُمر الوطن الذي لم يدرك من قبل كم ذاب به عشقًا..

في غمرة احتفال كل من حوله، والمشروبات والحلوى تُوزع على المهنئين في منزله وفي مقر حزبه وفي الشوارع والميادين والذبائح التي توزع على الفقراء وسط ابتهالاتهم له بالدعاء بالنصر والتوفيق وجد نفسه ينسحب في هدوء ويركب سيارته بمفرده متخفيا خلف نظارة سوداء تخفي نصف وجهه ومعطف وكوفية تخبيء نصف وجهه الآخر ليهرع إلى مسجد متواضع في أحد شوارع الحي الذي يقطنه.... يتوضأ ويدلف إلى ركنٍ قصي في المسجد ويخر ساجدًا باكيا متوسلاً في خشوع غريب....

بكى، و بكى و توسّل : يا إلهي ! كم أحتاجك.. يا إلهي كن معي.. يا إلهي يا مالك الملك يا من تهب الملك لمن تشاء وتنزعه ممن تشاء أعني يا رب على ما حملتَّني.

خرج من المسجد هادئًا متماسكًا، ركب سيارته ثم انصرف بهدوء عائدًا إلى حيث صَخب الاحتفالات الذي لم يهدأ في منزله، ولم يشعر بغيابه أحدٌ ، حتى ڤولار لم تشعر بغيابه فلقد أراد الله

ذلك، وفي تلك اللحظة التي يتواصل فيها قلب إبراهيم مع الله في خشوع كانت ڤولار في حضرة الرأس الأعظم لشكره على دعمه المُقدس الذي ذلَّل لها الكثير من الصِعَاب وترتيب ما هو آتٍ لتكتمل مُخططاتها كما أرادت لها.

الآن فقط شعرت ڤولار أن كابوس الياقوتة الذي جثم على صدرها يبتعد عنها وأنها قاب قوسين أو أدنى من نيل مرادها.

obeikandl.com

obeikandl.com

(٣٢)

بعد عدة أيام من إعلان النتيجة كان على إبراهيم أن يُقسم اليمين الدستورية أمام شعبه وقادة جيشه ويبدأ في مراسم التنصيب واستلام مقاليد حُكم البلاد رسميا في احتفال مَهيبٍ يليق بمكانة بلاده.

ومع كل خُطوة يخطوها يجد نفسه مُختلفًا، وكأنه يَنسلخ من نفسه القديمة وتتلبسه نفس جديدة مهمومةٌ بما تحمله من أعباء ومسئوليات، وجوده في بؤرة الضوء حدَّ كثيرا من أوقات اختلائه بنفسه ليجلس مع ڤولار ويتحاور معها على الرغم من رؤيته لها تحضر معظم اجتماعاته وتستمع بإنصات لما يدور فيها؛ ولكن من غير اللائق أن يرى رئيس دولة بحجم دولته وهو يحادث نفسه أو يشير إلى الهواء ولو على سبيل الخطأ؛ فلن يراها غيره ولن يستطيع تبرير تصرفات لن تستوعبها عقول سائر البشر، و إن كان حذرًا كل الحذر فيما سبق من حياته ولم يشكك أيًا ممن تعامل معه في قواه العقليه؛ فالحذر الآن يجب أن يتضاعف آلاف المرات خاصةً وهو الذي لم تعد الحراسة تفارقه حتى خيل إليه أنهم سينامون معه في غرفته، حتى شركاته لم

يعد من اللائق أن يترك قصر الحكم ليذهب إليها بنفسه فبات يتابعها عن طريق الهاتف فقط على أوقات متباعدة تاركًا تدبير شئونها بالكامل لـ (كريم)، لذا اختُزلت لقاءاته الحميمية بڤولار في لقاء أسبوعي واحد يحاول فيه الهرب من كل شيء حتى من حراسته الخاصة إلى حيث أحضانها الدافئة في ڤيلته الهادئة البعيدة عن الضوضاء والأنظار المتلصصة، يقضي هناك جزءاً يسيرا من النهار بدعوى الاطمئنان على منزله وخادمه العجوز وقطته التي باتت لا تتحرك كثيرا لكبر سنها، ثم يعود أدراجه إلى قصر الحُكم حيث يلزمه البقاء لإدارة شئون البلاد.

كانت المدة اليسيرة التي يقضيها منفردًا بڤولار لا تسمح بمناقشة جميع ما تريده ڤولار، بل كانت تنصت إليه أكثر وتلقي إليه بإيعازاتها بشأن عروض الدول وتحثه على الإسراع في تنفيذ برنامجه الذي سبق إعدادها له؛ ليشعر الفقراء بسرعة تحسن أحوالهم و تنتعش البلاد اقتصاديًا، كانت إجاباته لها مقتضبة حيث أخبرها بأنه مازال يحاول فك طلاسم عالم السياسة ومعرفة دهاليزها الخفية قبل أن يصدر أي قرار.

وجدت ڤولار أن عليها استدعاء أعوانها ليبدأوا في تنفيذ ما سبق اتفاقهم عليه ؛لإرباك إبراهيم وتوريطه في تنفيذ ما تطلبه منه ڤولار.

****

فجأةً.. وجدَ إبراهيمُ أن عليه أن يواجهَ عدة مشكلات أفتعلت كلها في آن واحد تقريباً، فزعماء القبائل الجنوبية يطالبون بما وعدهم به إبراهيم من أراضي ومساكن جديدة وصلاحيات تتيح لهم صرف تعويضات ملائمة عن أراضيهم التي انتزعتها منهم الدولة عبر أكثر من مائة عام مضت لإقامة مشروعاتها عليها، مما أضر بهم وبمصالحهم وتركهم فريسة للفقر والحاجة، طلباتُهم مشروعةٌ وهو مقتنع بقضيتهم ولا ينكر خطأ إهمال مطالبهم لسنوات كثيرة زادت من حَنَقِهم على الدولة، لكن ميزانية الدولة لا تسمح والمخرج الوحيد لتلك الأزمة قدمته إحدى الدول العظمى في عروضها السخية للتعاون مع بلاده، يتبَلْور العرض بمنح هذه الدولة حق استغلال تلك المنطقة من دولته وستقوم هي بدورها بتسوية الأوضاع مع السكان ومنحهم التعويضات المُجزية، أو إشراكهم في مشاريع ضخمة تعود عليهم بالنفع الوفير، كما وعدت بإنشاء مدن متكاملة الخدمات لهم.. ولكن !

كان شرط الدولة العظمى مُجحفًا بحق دولته في الموافقة على مايُقام على أراضيها من مشروعات... ماذا لو أقامت مشروعات تضر بأمن دولته القومي خاصة وتلك المنطقة الهامة من بلاده بإمكانها التحكم في كمية المياه التي تجري في باقي أرجاء بلاده وتشكل أيضًا ثغرة حدودية هامة مع دولة طامعة في ضم تلك البقعة إلى أراضيها.

إنه حقًا واقعٌ في حيص بيص.. وليتها المشكلة الوحيدة التي تفجرت الآن بل أن زعماء القبائل الشمالية كذلك يطالبون أيضًا بما وعدهم به من إقامة مشروعات تنموية على أراضيهم لتحسين أحوالهم المَعيشية وخدمة شبابهم زاعمين بأنهم منطقة مهملة عُوملت بإجحافٍ لمدة طويلة، ولم تستغل خيراتُها كما يجب بما يعود على أبنائها بالنفع.

ولكنه بدراسة استراتيچيات المكان، والتشاور مع قيادات جيشه أدرك أنها من أشد المناطق الحدودية خطورة، حيث أن الدولة المتاخمة لتلك الحدود هي أشد أعداء دولته شراسة وفتكًا، مما توجب انتشار الثكنات العسكرية بها بصورة لا تقبل التقليل، ولا تسمح إلا بمشروعات ذات طبيعة خاصة، وفي نقاط يحددها جيشُ بلاده بما لا يتعارض مع الأمن القومي لأراضي بلاده كافة، كما أن هذه المنطقة بشكل خاص لم تجرؤ أيّ من الدول التي ألقت في جُعبته بعروضها السخية أن تشير أو تلمح لهذه المنطقة من قريب أو بعيد، و لكن ما العمل؟ كيف سيقنع زعماءَ القبائل هناك عن عدوله عما وعدهم به؟ سيثير هذا حفيظتهم وسيوغر قلوبهم ضده.

في الوقت ذاته ستهدد حدودَه الغربية هجماتٌ من العصابات المتحالفة مع القبائل هناك وتزعزع أمن المواطنين؛ لأنها تعتبر منفذًا خَطرا يتسرب منه السلاح بطرق غير مشروعة إلى دولته فيتلقفها أولئك الهاربون من السجون الذين استوطنوا الجبال؛

ليقوموا بعمليات إرهابية قد تقضي على مستقبل السياحة في بلاده... ماذا عليه أن يفعل؟ هل يسرع في قبول عرض إحدى الدول العظمى ويمنحها امتيازات سياحية واقتصادية في بلاده ليحظى بحمايتها العسكرية لأراضي دولته؟ وما مدى النفع الذي ستجنيه بلاده جراء ذلك؟

لم تكتف ڤولار بوضعه في محنة حماية الحدود فقط ، بل أتت بجماعات من المدَّعين أنهم حماة الدين المتعطشين دومًا للدماء ، يريقونها باسم الجهاد وإعلاء كلمة الله بضمير مستريح، فبثتهم في أنحاء البلاد، يعيثون فيها الفساد، فحرقوا وقتّلوا وفجروا ودمروا، وروّعُوا العباد؛ وهم يوجدون لأنفسهم ولأتباعهم دومًا المبررات المقنعة، فتارة هم يقتصون من رعاة الفساد، وتارة يدعون بأنهم يطهرون البلاد من الكفر والكفار، وتارة يدعون أن أموال الكفار ودماءهم وأعراضهم حلالٌ بلالٌ لهم، ولكن تأتي الفكرة والسؤال : من هم الكفار في أنظارهم؟ و يا للعجب ! إنهم كل من خالفهم الرأي لا المعتقد، فهم وحدهم حماة دين الإله ومن عداهم فهم أعداؤهم المستباحون.

تكالب الأعداء من كل جانب على إبراهيم ليدفعوه دفعًا لتنفيذ ما أرادت ڤولار، و في اجتماعه بقيادات جيش بلاده أخبره القائد الأعلى أنهم بحاجة للمزيد من الأسلحة والمعدات وتكثيف التدريب لمواجهة الأخطار الداهمة، وأنهم -أيضًا -عليهم أن يعقدوا الصفقات التي تحقق المواءمات وتعيد توزيع القوى في المنطقة بما

لا يخل بسيادة الدولة واستقلاليتها وأمنها القومي، ولكن ما يشغل إبراهيم أكبر من ذلك فكل هذا يحتاج لميزانية كبيرة؟، أيهما أولى الآن؟ إطعام الفقراء أم حمايتهم وتأمين حدود بلاده؟

بدا إبراهيم مشتتًا بين واجبٍ، وأوجب، فأيّ منافع اقتصادية ستفيد إن أخترقت حدود بلاده وذهب أمنها وسلامها؟

طرح إبراهيم على خبراء الاقتصاد في دولته فكرة استيراد القمح والحبوب بدلاً من زراعته لتوفير النفقات حيث بدا له ذلك كأحد الحلول التي تسهم بشكلٍ ما في الخروج من الأزمة؛ فأتاه الردَّ قاطعًا كالسيف، حاسمًا كالصاعقة التي شلت تفكيره :
(خُبز البلاد سلاح أمنها القومي؛ ومفتاح استقلاليتها، لا تسلمه لدولة أخرى)

حاول التأكد من صواب هذا الفكر من قيادات جيشه وخبراء الأمن القومي واستراتيجيات الحروب فأكدوها له، فأصابته وَخْزة في قلبه تفتح لديه باب الشك في ڤولار.. إذ كيف يفوتها ذلك وهي العالمة بالأسرار، وكيف يخفى عليها الخطر من تسليم سلاح هام كهذا لدولة أخرى وهي أميرة في قومها وابنة ملك له سلطان، وربيبة الساسة والحكماء.. لابد أن في الأمر مكيدة ما، ترى !.. لصالح من تلعب ڤولار... لأول مرة تساءل إبراهيم...

****

obeikandi.com

أما الحقيقة الأخرى التي كان عليه أن يواجهها بعد أن تفهم الكثير من الأبعاد.. أن أيًا من العروض المُقدمة إليه من الدول التي بدت متنافسة على كسب ودِّ بلاده لا يمكنه قبولها بالفعل، ذلك أن قبول أحدها يعني استعداء الباقي ضد بلاده والوقت أحرج مما يحتمل المزيد من المجازفات.

إذن عليه مراجعة الكثير مما أقنعته به ڤولار...
يحتاج للحديث مع كريم فهو رفيق رحلة نجاحه المخلص وصندوق أسراره الأمين، كما أن شيئًا ما داخله لا يستطيع تفسيره يشده دومًا للثقة بكريم، فاتصل به واستدعاه ليقابله.. هاجسا ما أتاه من داخله أن تكون المقابلة في مكان غير مألوف.. لايدري ما الذي دفعه أن يطلب من كريم أن يذهبا لمكان لا تصل إليه الشياطين... فضحك كريم مداعبًا وقال :
إذن فلنلتقِ في مسجد من مساجدكم أو كنيسة من كنائسنا.

ضحك إبراهيم، ولكنه استحسن الفكرة لأسباب كثيرة في قلبه؛ فقال له :
قابلني بعد نصف ساعة في المسجد القديم في القلعة، أنا مُتجهٌ في طريقي إليه الآن.

أبلغ إبراهيم قائد حراسته بإعطاء الأوامر للسائق بالذهاب إلى هناك بعد أن لفت انتباهه إلى سرية المقابلة التي ستتم هناك

بعد قليل ورغبته في عدم لفت الانتباه لموكبه ، ولتقم الحراسة بعمل اللازم سريعًا وتأمين المكان.. اليوم ليس يوم جمعة كما أنه ليس وقت صلاة، وبُعد المسجد عن باقي المدينة يُقلل عددَ مرتاديه، بالإضافة إلى كون بعض أجزاء من القلعة تخضع للترميم؛ مما يضمن عدم تواجد أفواج سياحية بها؛ فلعل الأمر أيسر لعمل اللازم، وتأمين المكان جيدًا.

****

وصل إلى القلعة القديمة أعلى الجبل ومن ثم إلى المسجد، ومنذ أن أغلق هاتفه مع كريم وهو يردد آيات من القرآن الكريم ويتعوذ من الشياطين وأن يحضرون، فعل ذلك وهو يتمنى أن يكذب حدْسه هذه المرة،...

لكن للأسف !

خلع نعليه ودخل إلى المسجد تسبقه حراسته للتأكد من إعداد المكان وتأمينه ليجد كريم في انتظاره بالداخل وقد بدت على وجهه علامات الترقب، فطوال سنوات عمله واقترابه من إبراهيم لم يره بهذا القدر من التوتر والحيرة المسيطرة على ملامحه، لم ترتعش يديه أبدًا من قبل حتى في أشد اللحظات حسمًا كعقد الصفقات الهامة أو أثناء الثورة أو حتى لحظات ترقب نتيجة الانتخابات الرئاسية.

كان كريم يرى في إبراهيم رجلاً يحمل قلبًا كالماس في صلابته ونقائه وندرته أيضًا؛ كثيرا ماكان يشعر وهو أمامه أنه أمام بطلِ أسطوري من أبطال الحكايات الإغريقية التي لم يعد الزمان يتسع لمثله... ترى.. ماذا حدث ليتوتر بهذه الصورة وكأن جمرا يستعر داخله.

سار إبراهيم مع كريم إلى حيث المكان الذي أعدته الحراسة في ركن قصي يمين المنبر الخشبي الكبير حيث وُضعت حواجز خشبية ساترة وَوُضع بالداخل منضدة ومقعدين، وَوقف طاقم الحراسة على مسافات لمنع وصول أحد روَّاد المسجد إليهم أو الاستماع لما يدور بالداخل ولو عن طريق الخطأ.

كان إبراهيم في تلك اللحظة بالفعل يشعر أن نيرانًا تستعر داخله، يحاول تهدئة نفسه ببعض الآيات والأدعية، فيزداد تأكدًا أنه كان يضاجع عدوَّهُ لسنوات وأن كل ما أمدته به ڤولار ليس سوى أنه وقع في شركها ونفَّذ ما تريد هي وازداد يقينه بذلك عندما تلى بعض الآيات القرآنية التي من شأنها التحصين من الشياطين وهو يمسك بالقلادة التي طوّقت عنقه منذ سنوات فلا تأتي ڤولار... هل يصرفها القرآن إذن؟؟ بل يشعر بحرارة القلادة تزداد بين يدية.. ماذا في تلك القلادة؟

أخرجه من تلك التساؤلات وهذا الصراع المشتعل داخله، سؤال كريم له عن سبب توتره واضطرابه الشديد البادي على وجهه المتعرق بغزارة وعينيه الزائغتين، وسبب اللقاء الغريب في المكان الأغرب، فصمت قليلاً وأغمض عينيه لبرهة حتى يستعيد توازنه، ثم فاجأ كريم بما لم يتوقع سماعه على الاطلاق.

- كريم... لقد أخطأتُ... ماكانت تلك الثورة قرارًا حكيمًا.
- أعتقدُ أن حجم المسئوليات والصراعات الدائرة في المنطقة ككل وداخل الدولة هي ما ولدَّت داخلك هذا الشعور بالإحباط ، لكن الفساد كان عظيمًا وكان يجب أن...

قاطعه إبراهيم :
الفساد هو الفخ الذي وقعنا فيه يا كريم لنخطيء هذا الخطأ الفادح في حق الوطن.

- ولكن ! ماذا عن الفقراء في هذا الوطن؟ماذا عن المشردين والمظلومين؟ ماذا عن أحلامنا لهذا الوطن ومستقبله؟

- صدقني يا كريم الأمر أكبر بكثير من تخيلاتنا، والأخطار المحدِّقة بنا وبهذا الوطن بات عصر الفساد بجانبها نعيمًا لا نحلم بالحصول عليه، وقد لا أبالغ إن قلت لك لم يكن النظام السابق الذي ثرنا عليه، بالسوء الذي رأيناه فيه وإن كانت له أخطاؤه،

وتجاوزاته، إلا أننا لا نستطيع إنكار كيف كان يحمي الوطن مما نواجهه اليوم بِضراوة.

• لم أتوقع أن أسمع منك يومًا ما تمتدح به طاغية أشقى وطننا لعقود.

•الأمر يا كريم أعمق بكثير مما يبدو على السطح.

•وماذا ترى أن علينا فعله الآن؟ حيث لا سبيل لدينا للتراجع... نحن في قلب المعركة، ولا سبيل لدينا إلا خوضها حتى النهاية.

•نعم، حقيقي ولهذا اجتمعت بك اليوم، أنت موضع ثقتي الوحيد، ويجب أن نرتب معًا لما هو آتٍ لأنه سيكون أسرع وأشرس مما نتخيل ، وواجبنا اليوم أن نبحر بهذا الوطن في خضم تلك الأمواج العاتية لنصل به إلى بر الأمان ، ولا يعنيني بعدها إن متُّ أو حييت.

اصغِ جيدًا لما سأطلبه منك يا كريم.

•ماجئت إلا لهذا سيدي الرئيس.

•دعك من تلك الألقاب.. أريد منك سرعة ترتيب لقاءات سرية لي بالشباب، وكذلك لقاء بنيافة البابا وفضيلة الشيخ الأكبر ومفتي الديار، ثم لقاءات بشيوخ القبائل تكون بحضور نيافة البابا وفضيلة الشيخ الأكبر، لابد من سرعة التحرك ؛ كما سأطلعك على

ما نحتاج إليه تباعًا، وستكون لقاءاتي المنفردة بك كلها في ذات المكان وسأقوم باللازم.

•سأفعل أفضل ما في وسعي ، ولكن...!

•لكن.. ماذا؟

•ستحتاج لدعم أكبر مما سيقدمه نيافة البابا أو الشيخ الأكبر أو مفتي الديار.. أو حتى الشباب.

•ماذا تعني بالدعم الأكبر؟

•ليس لدي صورة محددة، ولكن أشعر بأن هذا غير كاف، أظن أنك ستحتاج للقاء رؤساء القبائل في كل أنحاء البلاد.

•دعك من هذا الآن ، سأتدبر الأمر... فقط نفذ ما طلبته منك على وجه السرعة، فكل وقتٍ يمر ليس بمصلحة هذا الوطن حقًا.

obeikandl.com

(٣٣)

لم تُفرغ ڤولار كل ما في جُعبتها بعدُ ، فبينما هو يحاول الموازنة بين ما يُنتظر منه فعله وما يجب عليه فعله، باغتته بالقَاصمة، فلم تترك له الوقت الكافي وتمهله لتنفيذ مايصبو إليه...

نعم إنها القاصمة.. تلك التي سينفطر لها قلبه، وتفقده توازنه وجادَّة صوابه، فلم تكن لتمهله ليفسد لها خططها ، فهي كشيطانة مُخضرمة عتيدة تسري منه مسرى الدم أدركت أن أمورًا لديه خرجت عن سيطرتها وأن مناطق من روحه أُغلقَت عليها وفقدت قدرتها على الولوج إليها، كما علمت من خُدَّام قلادتها أنهم ليسوا في مأمن وأنه بدأ في محاولات إحراقهم..

لقد آن أوان تلك الضربة الآتية له من مأمنه، من حيث لم يحذر.... شباب حزبه يُعلن العصيان والتمرد عليه... كيف حدث هذا؟ ومتى؟ والأهم... لماذا؟

****

استطاعت أن تطال منهم بوساوسها وجنودها قبل أن يتواصل معهم.

المطامع هي فطرة البشر، ولولاها لما تسللت الشياطين إلى قلوبهم، فأوغرتها وملأتها شروراً، فعندما تم تشكيل الحكومة الجديدة بدون الاستعانة بالقيادات الشابة من الحزب الذي أوصله لسدة الحكم كانت تلك هي البداية، البداية التي تسللت منها الشياطين إلى القلوب، وعبثت بها كما شاءت.

اليوم... وجدَ إبراهيم نفسه متهمًا بأنه ليس أكثر من صورة شائهة لحاكم عزلته ثورة الشباب؛ بل أسوأ حيث كان السابق يمتلك أدواته ويدرك ماذا يفعل، وكيف يدير شئون البلاد

أما أنت يا إبراهيم فما الجديد الذي أتيتَ به منذ اعتلائكَ مقعد الرئاسة؟ أتيت بنفس الوجوه القديمة وأجلستهم على ذات المقاعد المتهالكة ليديروها بذات الأسلوب القديم؟، لقد استخدمت ذات السياط المسلطة على رقاب العباد فأين الشباب؟ وأين الدماء الجديدة؟

أين صناع الثورة؟ أليسوا أحق بإدارة البلاد التي ضحوا من أجلها بدمائهم وفقدوا فيها من فقدوا من الشهداء ؟
فأين القصاص لهؤلاء الشهداء؟ أين الحقوق الضائعة؟؟ هل عادت لمن قامت الثورة من أجلهم؟ أين الفقراء والجوعى والعراة

والحُفاة؟ هل اغتنوا وشبعوا وسُتروا؟؟ أين الوعود؟؟.... ذهبت أدْرَاج الرياح ، كما ذهبت الأحلام بمستقبل وطن

****

هكذا هم الشباب... نظرتهم لا تعدو أقدامهم، يفتقرون إلى الحكمة والصبر، نجحت ڤولار أن تثير بهم الزوابع حول إبراهيم، وتزعزع بهم عرشه كما أوصلته إليه بهم.

****

بقدر ما كانت الصفعة موجعة ونالت حقًا من إبراهيم؛ بقدر ما جعلته يهرع مسرعًا للإمساك بمربط الفرس.

أسرع إبراهيم بعقد اجتماعٍ طارئ مع قادة الجيش وخبراء الأمن القومي وقيادات أجهزة التخابر، امتد الاجتماع لعدة ساعات لتباحث الأمر وتقدير الموقف، أطلعهم فيه على كل ما نما إلى علمه من مؤامرات وأطماع في الداخل والخارج ، واستمع إلى تقاريرهم وتوصياتهم بشأن الوضع الراهن للدولة والسبل المتاحة لتخطي الأزمة وكيفية مواجهة تلك الأخطار التي اعتادوا مواجهتها منذ الأزل بكل حنكة وبسالة ، فلطالما كانت بلادهم محط أنظار وأطماع الجميع، لكنهم أبدًا لم ولن يسمحوا أن يمسها سوءٌ مهما تكبدوا من تضحيات..

obeikandl.com

طوال فترة الاجتماع كان إبراهيم مؤرقًا بأمر آخر... فلطالما عرف جيش بلاده ببسالته وتفانيه عبر تاريخه المديد، بيدَ أنه هذه المرة يواجه أعداء الداخل أيضًا..

أولئك الذين كشروا عن أنيابهم ومخالبهم وتحالفوا مع أعداء الخارج ومع دولة الشياطين طامعين في بلوغ مآربهم ضد مصلحة بلاده، ومواجهة كل تلك الأطراف مجتمعة في آن واحد يحتاج لأكثر من قوة الجيش... أدرك أيضًا أن الأزمة الحقيقة مع النظام السابق لم تكن فساده بالمقام الأول بقدر ما كانت غموضه وعدم شفافيته وإهماله لتوعية شعبه بما يحدِّق بهم من مخاطر وما يتوجب عليهم من مهام، وأن الجدار المنيع الذي شيده النظام السابق بين الحاكم وبين محكوميه، لم يمنحه القوة بقدر ما جعله هشًا تفتت في أول مواجهة مع شعبه على الرغم من صلابة دعائمه.

لذا قرر إبراهيم أن يتحمل معه الجميع مسئولية هذا الوطن، وأن يطلع الشعب على حجم الأخطار والتحديات التي يواجهها هذا الوطن، فالشعب الذي اختاره ليمثله وحمله تلك الأمانة من حقه أن يعرف ويشارك في القرار إن كان سيقبل أن يخوض معه التحدي الأكبر أم لا... وهذه أبسط قواعد الديموقراطية التي أتت به إلى الحكم.. حق الشعب في تقرير مصيره.

وبناءَ على ذلك فقد أعلن إبراهيم في نهاية الاجتماع أنه بحاجة لمخاطبة الشعب وطلب منهم أن يعدوا له أهم النقاط المسموح بإطلاع الشعب عليها بما لا يشكل خطرا على أمن البلاد القومي، وقد عقد العزم وأقسم على أن لا يخذل شعبًا وثق فيه.

****

ترك القادة في غرفة الاجتماعات لإعداد أهم بنود الخطاب وإعلان الأمر على الشعب وأتجه إلى مكتبه مغلقًا بابه عليه، منفردًا بنفسه لبضع الوقت.

جلس إلى مكتبه وفي هدوء مدَّ يده إلى عنقه لينزع تلك القلادة التي لم يعد بحاجة إلى تطويقها لعنقه بعد الآن ، فقد اعتنق هذا الوطن بما فيه فمنحه هذا الاعتناق القدرة على الانعتاق مما سِواه.

obeikandl.com

(٣٤)

((خطاب البداية))

التفَّ عموم الشعب حول شاشات التليفزيونات في المنازل والمقاهي وأجهزة المذياع في سياراتهم للإنصات لهذا الخطاب، الذي تم الإعلان عن موعده مسبقًا، والجميع يترقبه لما أُعلن عن أهمية محتواه، وقد حاول إبراهيم أن يختصر فيه المسافات بينه وبين شعبه، ويختصر العبارات كذلك، فلم يرده خطابًا رسميا مفعمًا بالعبارات الجوفاء بين حاكم وشعبه وإنما أراد له أن يكون حديثًا من القلب إلى القلب ومن العقل إلى العقل ومن الضمير إلى الضمير...

وقف أمام الكاميرات وكأنه يرى من خلالها عيون شعبه المُحدقة فيه وتجاوز نظرات الشك المصوَّبة إليه وبدأ خطابه لهم بعباراتٍ تفيض صدقًا حقيقيا لمواقف وأحلام عاشوها معًا..

كانت نظراته تفيض حزنًا وأملاً في ذات الوقت حين قال مُقرا بحقيقة موجعة :

obeikandl.com

اسمحوا لي بدايةً أن أعترف أولاً... ثمة مزادات غير مُعلنة يباع فيها هذا الوطن.. نعم.. هي للأسف حقيقة وأكثر ما يوجعنا في الحقائق كونها حقائق..

إخوتي وأخواتي... بنو وطني الكرام... شركاء الحلم والواقع لقد حلمنا معًا بنهارٍ تسطع فيه شمس هذا الوطن، وتتبدد ظلمته، ثرنا معًا لنحقق هذا الحلم، وقفنا معًا في الميادين معلنين إصرارنا على ألا يجتث أحدٌ أحلامنا ، آلينا على أنفسنا، وأقسمنا بأغلظ الأيمان أن تنبت الحقول، وتعزف مياكين المصانع ألحانها معلنةً انتصارنا على الفقر والجوع والمرض...

لكن !

ربما أوصلنا إيماننا لما نصبو إليه حقًا... بيد أن ثمة حقيقة ما.. أغفلناها أو ربما جهلناها أو تجاهلناها....

وهي أن هذا الوطن هو الحلم والجائزة الكبرى التي تتصارع من أجله دولة الشياطين وممالك الشر ساعية بكل ما أوتيت من شر وسخرت له من قوى لتنال خيراتَ هذا الوطن... هذا الوطن الذي تشابكت أيدينا جميعًا من أجله... هذا الوطن الذي أشعل الثورة فينا لنحلِّق به عاليا... هذا الوطن الذي رويناه بدمائنا...

فوجدنا أنفسنا الآن أمام خيارين لا ثالث لهما، ولا أكذبكم القول فهما أمران أحلاهما مر..

فإما أن نستسلم لهم ونحني رؤسنا أمام مطامعهم، وإما أن نواجه التحدي ونُثبت لهذا الوطن أننا جديرون به لنسلمه للأجيال من بعدنا سيدًا حرا مرفوع الرأس<<

بنو وطني الكرام... يا من أوليتموني ثقتكم الغالية... حريّ بي أن أعترف أمامكم الآن، أنا لا أملك عصا موسى، ولا خاتم سليمان ولكنني أؤتمنت على خزائن الأرض وما أنا بيوسف...

لذا أضع القرار بين أيديكم الآن ونحن بالفعل في خضَم المعركة... فإما أن أحصل منكم على مساندة لنواجه التحدي ونصمد في وجه أعتى الرياح، وإما أعلن أمامكم أنني مُنسحب من ساحة القيادة الآن... فلستُ أهلًا لها بدونكم وبدون مساندتكم ودعمكم...

إذ كيف ينجو الربان بسفينة يأبى ركابها أن يعينوه على سد الثقوب التي ينفذ منها الماء؟؟

والآن الأمر برمته بين أيديكم والقرار قراركم وكلي إيمان وثقة أنكم أنتم فقط من سيحمي هذا الوطن بعزيمته التي لا تهزها أعتى الرياح.

لذا أنا بانتظار قراركم الذي أثق في صوابه... هدانا الله وإياكم، ووفقنا لما فيه صالح هذا الوطن وترابه الغالي...

وبهذا الدعاء النابع من القلب ختم إبراهيم خطابه لشعبه بعينين اجتهد في إخفاء دموعهما تاركًا القرار الأخير بيد الشعب،

لقد أدرك إبراهيم الآن ما هو ذلك الصندوق الأخضر العتيق وذلك المفتاح القديم والمصحف الذي أعطتهم له والدته في تلك الرؤيا.... إنها الأمانة والبُشرى، أمانة الوطن والبشرى برعاية الله لهذا الوطن، بعد أن أعلن الحقيقة لشعبه عاد اليوم إلى منزله هادئًا يحتاج لقسط كبير من الراحة، لكنه عاد بروح مختلفة، روح قد أدركت النور، واليقين داخله بات يملأه بالسكينة، يقين بأن.. الوطن حق... و لابد للحق أن ينتصر.

****

في تلك اللحظة كانت ڤولار قد سكنت الياقوتة وصُفدت عليها الأصفاد واستقرت في كهفٍ مظلمٍ في قاع محيط الظلمات نظير هزيمتها في الجولة الأولى من المعركة الأبدية، هي الآن حبيسة تلك الياقوتة الملعونة تنتظر أن يُشعل أعوانها الحروب لتتحول البحار وتتلون بلون الدماء المراقة ليطلق سراحها من جديد.

نعم... حُبـست ڤولار ولكنها فـي انتظار الخـروج من جديد

فهل ستـستطـيع؟ أم ستقضـي هناك نحبها؟

هذا ماستجـيب علـيه الأيام....

عندما التقـى بِهَا كانت لِقَلبِه أمـيـرةُ الضـياء

لكنَّهُ لم يُدركْ حـينهَا الحَدَّ الفاصلَ بـين النُورِ والنَّارِ

obeikandl.com

obeikandl.com

"شكـر خاص"

شكـرا لكل تلك العقول الـراقـية التـي قـرأت مابـين الـسطور

بإدراكها الخاص واستوعبت جـيدًا مالم يخطه القلم.

obeikandl.com

obeikandl.com

"لا تسجن معرفتك وبادل كتبك"

القراءة هي الحياة، فنحن نقرأ لنتعرف على خبرات وحكايات الآخرين، نقرأ لنتعلم شيء جديد، لنتعرف من قرب على عوالم قد لا نعرف عنها شيء، لذا صديقي القارئ لا تسجن معرفتك وبادل كتبك مع الآخرين.

فلا تجعل هذا الكتاب يقف بين يدك وحدك، فمن خلاله قد تكون أستمتعت، وتذوقت متعة القراءة، وقد تكون تعرفت على شيء جديد، فلا تبخل عن من حولك بهذه المتعة.

موقع دار الكتب
"نحن نحترم الكتاب"

obeikandl.com

obeikandl.com

إصدارات موقع دار الكتب:

١. فيرجينيا سيكريت
٢. الفوضى العالمية
٣. سماحة
٤. ايران الخميني
٥. الشاطر حسن
٦. رياح القبور
٧. طال الرنا
٨. مدينتنا غير الفاضلة
٩. على من نطلق الريح
١٠. قصائد في عشق النساء
١١. ومضات من الماضي
١٢. حوار مع النفس
١٣. كارمن
١٤. ومضات من الماضي
١٥. رياح القبور
١٦. كلام لن يفهمه غيرك
١٧. الفرنسين والشرق
١٨. اغتيال رفيق الحريري
١٩. البحر الميت وكفة برج الميزان
٢٠. العمر لحظات

obeikandl.com

٢١. ومضات
٢٢. آية الله الخميني بين الثورة و الطغيان.
٢٣. قبل أن أموت.
٢٤. فتاة شرقية.
٢٥. كاتيا.
٢٦. شمس.
٢٧. التعلم النشط.
٢٨. نبضات مغترب.
٢٩. رأيت الشيطان.
٣٠. حل قضية الجبر والاختيار وقضايا آخرى.
٣١. لوزة قطن.
٣٢. حياة وحنين.
٣٣. رحيق العمر.
٣٤. عواطف.
٣٥. الوهم.
٣٦. الاعجاز العلمي في القرآن الكريم.
٣٧. تاريخ مصر الفرعونية.
٣٨. ديوان البت سعاد.
٣٩. الكفايات المهنية للتعليم ما قبل الجامعي.
٤٠. الموعد
٤١. اذا لم تزد على الحياة شيئا كن انت زائد عليها

obeikandi.com

٤٢. عائدون من بين الانقاض
٤٣. -حذاء جديد
٤٤. حلقات مفرغة
٤٥. يوميات طبيب في وطن مسلوب
٤٦. أصحاب الكرش
٤٧. جئت ورحلت
٤٨. سخصية مصر
٤٩. ديور... ابن الحرب
٥٠. رجل مدخر
٥١. ليلة فى الرنفة
٥٢. استراتيجيات التسويق عبر الفيس بوك
٥٣. يوميات مع نفسى
٥٤. سلسلة القائد المتوازن.
٥٥. يوميات واحد فيس بوكاوى
٥٦. نصف انسان
٥٧. اريد ان اكون زوجة ثانية

obeikandl.com